مجلة
الإحياء الإسلامية
العدد الأول
١٤٣٢ هـ
الإحياء الإسلامي / د طارق عبد الحليم
لاتكن كصاحب الحوت / محمد محمد بدري
وجود برامج إسلامية مكتوبة، ضرورة حتمية/ أ مجدي داود
سياسة التهميش في العمل الاسلامي / أ محمد المصري
أبوة الدعوة التربوية / أ ماجد رسلان
بالإضافة إلى مقالات أخرى داخل العدد...

كلمة قصيرة

هذا الدين

سيد قطب

إن بعضنا ينتظر من هذا الدين – ما دام هو المنهج الإلهي للحياة البشرية – أن يعمل في حياة البشر بطريقة سحرية خارقة ! دون اعتبار لطبيعة البشر , ولطاقتهم الفطرية , ولواقعهم المادي , في أية مرحلة من مراحل نموهم , وفي أية بيئة من بيئاتهم !

وحين يرون أنه لا يعمل بهذه الطريقة , وإنما هو يعمل في حدود الطاقة البشرية , وحدود الواقع المادي للبشر . وأن هذه الطاقة وهذا الواقع يتفاعلان معه , فيتأثران به في فترات تأثرا واضحا , أو يؤثران في مدى استجابة الناس له , وقد يكون تأثيرهما مضادا في فترات أخرى فتقعد بالناس ثقلة الطين , وجاذبية المطامع والشهوات , دون تلبية هتاف الدين أو الاتجاه معه في طريقه اتجاها كاملا . . حين يرون هذه الظواهر فإنهم يصابون بخيبة أمل لم يكونوا يتوقعونها ! – ما دام هذا الدين من عند الله – أو يصابون بخلخلة في ثقتهم بجدية المنهج الديني للحياة وواقعيته ! أو يصابون بالشك في الدين إطلاقا !

وهذه السلسلة من الأخطاء تنشأ كلها من خطأ واحد , هو عدم إدراك طبيعة هذا الدين , وطريقته , أو نسيان هذه الحقيقة الأولية البسيطة .

إن هذا الدين منهج للحياة البشرية , يتم تحقيقه في حياة البشر بجهد بشري , في حدود الطاقة البشرية , ويبدأ في العمل من النقطة التي يكون البشر عندها بالفعل من واقعهم المادي , ويسير بهم إلى نهاية الطريق , في حدود جهدهم البشري وطاقتهم البشرية , ويبلغ بهم أقصى ما تمكنهم طاقتهم وجهدهم من بلوغه .

افتتاحية العدد

لماذا مجلة الإحياء الإسلامي ؟

محمد المصري

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد :-

ففي مستهل تقديمنا للعدد التجريبي لمجلة الإحياء الإسلامي على طريق دعوة أهل السنة والجماعة ،يسرنا ونحن في بداية العدد الأول أن نذكر أهداف ورؤية مجلة الإحياء الإسلامي ،وذلك من خلال النقاط التالية :-

1-مجلة الإحياء الإسلامي هي إحدى الواجهات الإعلامية لدعوة أهل السنة والجماعة وذلك من خلال ثغر المطبوعات الإسلامية ومع ذلك نؤكد أنها ليست مجلة فئوية أو حزبية ولا دعوة إلى طائفية ، ولا إلى إقليمية تخاطب قطيعاً من الناس حدد له أعداء الإسلام حدود حظيرته وقُضي عليه منهم أن لا يتجاوزها وإنما ستعمل لتكون صوتاً من أصوات الحق في الأرض ، ولساناً معبراً عن الإسلام كرسالة خاتمة تخاطب الناس – كل الناس – في الأرض – كل الأرض.

2-وسنعمل على أن تكون المجلة إحدى منابر أهل السنة والجماعة التي تعبر عن منهجهم ، وتدعو إلى أصولهم ، وتذكر بطريقتهم السليمة بعيداً عن الغلو والتفريط.

3-سيكون همنا الشاغل هو العمل على تصحيح المفاهيم الإسلامية الغائبة عن حياة الأمة الإسلامية في واقعنا لتعود من جديد خير أمة أخرجت للناس ،وسنبذل الجهد ما استطعنا إلى ذلك إلى أن يكون خطابنا موجهاً للجميع ليس خطاب اصطفائي ولكن خطاب يناسب جميع المستويات العمرية والفكرية .

4-وسنعمل إن شاء الله على إن نلتزم بالدليل الشرعي المسترشد بالبيان القرآني ، وأدب التعبير النبوي الذي يوازن موازنة دقيقة بين دقة الخطاب وعمقه ووضوحه وبين سمو تعبيره وأخذه بمجامع القلوب والعقول معاً .

5-ونؤكد على أننا لا ندعي أو نعلن أن المجلة ستكون صوت المسلمين الوحيد ، ولا تزدري الأصوات الأخرى التي تقف معها في ساحة العمل الإسلامي ، ولا تنظر بمنظار ذي جهتين ، يكبر لها نفسها ، ويصغر لها الآخرين ، كما أنها لا تدعي – ولن تدعي – الوصاية على الدعوة ، ولا تحتكر –ولن تحتكر – معرفة الحق ، بل تضم صوتها إلى جانب كل صوت يدافع عن القضايا الإسلامية بصدق

وإخلاص ، وسوف تبتعد –بإذن الله– عن كل ما يجعلها تتورط في مشادات عقيمة ومهاترات رخيصة تلهيها عما نصبت صفحاتها من أجله .

6– وهي مجلة تعتقد أن ساحة العمل الإسلامي تتسع لكل الجهود ، وهي ساحة مشرعة لا يضيق صدرها بعمل صادق ، وجهد مشكور .

7–سنحاول الاستفادة من الخبرات السابقة في مجال المطبوعات الإسلامية حتى لا ندور حول أنفسنا في كل عمل نقوم وإنما نسعى للتكامل والتعاضد وأظن هذا قد يكون واضحاً في هذه المقدمة إذا استفدنا كثير من البيان الأول لمجلة البيان الإسلامية ونرى أن ذلك لا ينقصنا شئ بل نفخر أن تكون الصراحة إحدى السمات التي تقوم عليها هذه المطبوعة الإسلامية بإذن الله .

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات .

في إشراقة آية

تفسير سورة الكوثر

للشيخ السعدي من تيسير الكريم المنان

وهي مكية

[1 – 3] {بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ * إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ} .

يقول الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ممتنا عليه: {إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ} أي: الخير الكثير، والفضل الغزير، الذي من جملته، ما يعطيه الله لنبيه صلى الله عليه وسلم يوم القيامة، من النهر الذي يقال له {الكوثر} ومن الحوض (1) .

طوله شهر، وعرضه شهر، ماؤه أشد بياضًا من اللبن، وأحلى من العسل، آنيته كنجوم (2) السماء في -[936]- كثرتها واستنارتها، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدًا.

ولما ذكر منته عليه، أمره بشكرها فقال: {فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ} خص هاتين العبادتين بالذكر، لأنهما من أفضل العبادات وأجل القربات.

ولأن الصلاة تتضمن الخضوع [في] القلب والجوارح لله، وتنقلها في أنواع العبودية، وفي النحر تقرب إلى الله بأفضل ما عند العبد من النحائر، وإخراج للمال الذي جبلت النفوس على محبته والشح به.

{إِنَّ شَانِئَكَ} أي: مبغضك وذامك ومنتقصك {هُوَ الأَبْتَرُ} أي: المقطوع من كل خير، مقطوع العمل، مقطوع الذكر.

وأما محمد صلى الله عليه وسلم، فهو الكامل حقًا، الذي له الكمال الممكن في حق المخلوق، من رفع الذكر، وكثرة الأنصار، والأتباع صلى الله عليه وسلم.

---

(1) كذا في ب، وفي أ: ومن الحوض الذي يقال له: الكوثر.

(2) في ب: عدد نجوم السماء.

من خير الهدي

الناس كالإبل المائة

للشيخ/محمد بن عبد الله الدويش

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إنما الناس كالإبل المائة لا تكاد تجد فيها راحلة » [1] .

قال الحافظ ابن حجر في شرح هذا الحديث : « قال الخطابي : تأولوا هذا الحديث على وجهين : أحدهما : أن الناس في أحكام الدين سواءٌ لا فضل فيها لشريف على مشروف ، ولا لرفيع على وضيع ، كالإبل المائة التي لا يكون فيها راحلة وهي التي ترحل لتركب ، والراحلة فاعلة بمعنى مفعولة ، أي كلها حمولة تصلح للحمل ، ولا تصلح للرحل والركوب عليها .

والثاني : أن أكثر الناس أهل نقص ، وأما أهل الفضل فعددهم قليل جداً ؛ فهم بمنزلة الراحلة في الإبل المحمولة ، ومنه قوله تعالى : [وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ](الأعراف : 187) » .

ورجح الثاني الأزهري ، و النووي ، و القرطبي ، وغيرهم .

ولا شك أن المعنيين ثابتان بأدلة أخرى ، ومرادنا هنا المعنى الثاني ، وسواء أكان هو المراد بهذا الحديث ، أم المراد غيره فهكذا شأن الناس ؛ فالقليل منهم هو الذي يُعتمَدُ عليه ، وأكثرهم دون ذلك .

وفي هذا المعنى وقفات عدة :

الوقفة الأولى : أن على الدعاة والمربين الاعتناء بالعناصر الفاعلة المتميزة ؛ إذ هم قليل في الناس ، عزيزٌ وجودهم ، وأثر استجابتهم للدعوة لا يقاس بأثر غيرهم .

ولهم في ذلك أسوة حسنة بالنبي صلى الله عليه وسلم الذي كان يقول : « اللهم أعز الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك : بأبي جهل ، أو بعمر بن الخطاب » [2] .

وقد كان السلف يُعنَوْن بأمثال هؤلاء ؛ ومن صور هذه العناية ما رواه الخطيب في الجامع بإسناده عن إسماعيل بن عياش قال : كان ابن أبي حسين المكي يدنيني ، فقال له أصحاب الحديث : نراك تقدم هذا الغلام الشامي وتُؤْثِرُه علينا ؟ فقال : إني أؤمِّله .

فسألوه يوماً عن حديث حدث به عن شهر : إذا جمع الطعام أربعاً فقد كمل ، فذكر ثلاثاً ونسي الرابعة ،

فسألني عن ذلك ، فقال لي : كيف حدثتكم ؟ فقلت : حدثتنا عن شهر أنه إذا جمع الطعام أربعاً فقد كمل : إذا كان أوله حلالاً ، وسُمِّيَ عليه الله حين يوضع ، وكُثرت عليه الأيدي ، وحُمِدَ الله حين يُرفَع .

فأقبل على القوم ، فقال : كيف ترون ؟ [3] .

الوقفة الثانية : حين يدرك الداعية والمربي هذا المعنى يدعوه ذلك لأن يكون واقعياً فيما يطلبه من الناس وينتظره منهم ؛ فالناس لن يكونوا كلهم رواحل ، ولا يسوغ أن نرسم صورة مثالية وننتظر من الناس جميعاً أن يصلوا إليها .

الوقفة الثالثة : حين نرى صورة واقعية من أحد من الناس ، فلا يسوغ أن نتخذها نموذجاً نقارن الآخرين به ، وننتظر منهم أن يصلوا إلى ما يصل إليه .

ومن الصور الشائعة في ذلك ما يصنعه بعض الآباء مع أبنائه ، أو بعض المعلمين مع طلابه حين يعجب بأحدهم فينتظر من الآخرين أن يكونوا مثله ، وأن يصلوا إلى ما وصل إليه .

الوقفة الرابعة : ليس معيار الاختلاف بين الناس قاصراً على القدرات العقلية والذهنية وحدها ؛ فهم يتفاوتون في تحملهم للأعباء ، وفي جديتهم ، وفي تضخيمهم للمخاطر ، وفي قدراتهم النفسية .. .. إلخ هذه العوامل ، وهي كلها مما لا بد من أخذه في الاعتبار .

الوقفة الخامسة : إدراك هذا المعنى يجعل المسلم عالي الهمة ، متطلعاً للمزيد ، ينظر في العلم والصلاح إلى من هو فوقه ، ولا ينظر إلى من هو دونه .

---

(1) رواه البخاري (6498) ، و مسلم (2547) .

(2) رواه أحمد (5363) ، 95/2 ، والترمذي (5681) .

(3) الجامع ، 312/1 .

دراسات في الشريعة

الحق في الشريعة الإسلامية

بقلم الأستاذ : عثمان جمعة ضميرية

تمهيـد :

اقتضت حكمة الله تعالى أن يقوم هذا الكون بكل ما فيه على قاعدة الحق والعدل ، فخلق الله عز وجل السماوات والأرض بالحق ، وأنزل كتبه وبعث رسله بالحق ليقوم الناس بالحق والعدل . فالله سبحانه وتعالى هو الحق ، ودينه حق ، وغاية شرعه حق .

ولما للحق من مكانة وجدنا علماءنا – رحمهم الله – يتناولون في كتبهم وبحوثهم جوانب مختلفة في دراسة الحق ، فعني بذلك علماء التفسير والحديث والفقه ، كما عني به علماء أصول الفقه .

وفي هذه الدراسة الموجزة نعرض – بعون الله تعالى وتوفيقه – لمعاني كلمة الحق وإطلاقاتها في التفسير ، بعد إلماعة لغوية عنها ، ثم نعرض لتعريف علماء الفقه والأصول ، وبعدها نوجز أنواع الحق في الشريعة الإسلامية ، ثم نبين نشأة الحق وطبيعته .

تعريف الحق في اللغة :

* يقول العلامة اللغوي ابن فارس في كتابه " مقاييس اللغة " :

" حق " : الحاء والقاف أصل واحد ، وهو يدل على إحكام الشيء وصحته ، فالحق نقيض الباطل .

ثم يرجع كل فرع إليه بجودة الاستخراج وحسن التلفيق ، ويقال : حق الشيء : وجب .

قال الكسائي : يقول العرب : " إنك لتعرف الحقة عليك ، وتعفي بما لديك " . ويقولون : " لما عرف الحقة مني انكسر " .

ويقال : حاق فلان فلانا ؛ إذا ادعى كل واحد منهما ، فإذا غلبه على الحق قيل : حقه وأحقه .

واحتق الناس في الدين : إذا ادعى كل واحد الحق .

وقال قوم : المحتق : الذي يقتل مكانه . ويقال : ثوب محقق : إذا كان محكم النسج .

والحقة من أولاد الإبل : ما استحق أن يحمل عليه ، والجمع : الحقاق ، والحاقة : القيامة ، لأنها تحق بكل شيء .

والحق : ملتقى كل عظمين إلا الظهر ، ولا يكون ذلك إلا صلبا قويا . ومن هذا المعنى : الحق من الخشب ، كأنه ملتقى الشيء وطبقه " .

ومن معاني الحق لغة : الثابت الذي لا يسوغ إنكاره ، وأصل الحق : المطابقة والموافقة كمطابقة رجل الباب في حقه ، لدورانه على استقامة . ويستعمل الحق استعمال الواجب والجائز ، كما يطلق على الموجود .

يقال : حق الأمر يحق حقا وحقوقا : صار حقا وثبت . قال الأزهري : معناه : وجب يجب وجوبا . وحق عليه القول وأحققته أنا ، أي : أثبته حقا ، أو حكمت بكونه حقا . وفي التنزيل : قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ أي : ثبت : وقال الزجاج في قوله تعالى : وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ، أي : وجبت وثبتت .

وحقه يحقه حقا ، وأحقه ، كلاهما : أثبته وصار عنده حقا لا يشك فيه . وأحقه : صيره حقا ، ويحق عليك أن تفعل كذا : يجب ، والحق واحد الحقوق .

وفي مفردات الراغب الأصفهاني : أن الحق يقال على أوجه :

الأول : يقال لموجد الشيء بسب ما تقتضيه الحكمة ، ولهذا قيل في الله تعالى : هو الحق . قال تعالى : ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلاهُمُ الْحَقِّ .

الثاني : يقال للموجد بحسب مقتضى الحكمة ، ولهذا يقال : فعل الله تعالى كله حق . قال الله تعالى : الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ .

الثالث : في الاعتقاد المطابق لما عليه ذلك الشيء في نفسه ، كقولنا : اعتقاد فلان في البعث والثواب والجنة والنار حق . قال الله تعالى : فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ .

الرابع : للفعل والقول الواقع بحسب ما يجب وبقدر ما يجب وفي الوقت الذي يجب ، كقولنا : فعلك حق وقولك حق . قال الله تعالى : كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا .

استعمالات الحق في القرآن الكريم :

بحث علماء التفسير في المفردات القرآنية ، ومنهم من خص الأشباه والنظائر في القرآن الكريم بمؤلفات تبحث في الألفاظ التي تستعمل بمعنى واحد والألفاظ المشتركة التي تستعمل في معان متعددة ، ومن ذلك كلمة " الحق " مع أن المعاني رغم ما بينها من تنوع تعود إلى أصل واحد .

وفي هذه الفقرة تفسير كلمة " الحق " والوجوه التي تطلق عليها في كتاب الله تعالى ، وقد جمعها مقاتل بن سليمان ، وأرجعها إلى أحد عشر وجها :

فوجه منها : الحق هو : الله ، فذلك قوله تعالى في المشركين : وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ ، يقول : لو اتبع الله أهواء المشركين لفسدت السماوات والأرض لفساد أهوائهم .

والوجه الثاني : الحق : القرآن ، فذلك قوله في سورة الزخرف : حَتَّى جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُبِينٌ (29) وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ .

والوجه الثالث : الحق : يعني الإسلام ، فذلك قوله تعالى في بني إسرائيل : وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ . فالحق : الإسلام ، والباطل : الشرك وعبادة الشيطان .

والوجه الرابع : الحق ، يعني العدل ، فذلك قوله تعالى : يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ يعني : حسابهم العدل ، وقوله : وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ يعني : العدل المبين .

والوجه الخامس : الحق ، يعني : التوحيد ، فذلك قوله تعالى : بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ يعني : جاء بالتوحيد .

والوجه السادس : الحق : يعني الصدق ، وذلك كقوله تعالى : وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا يعني : صدقا في المرجع إليه سبحانه .

والوجه السابع : حق : يعني وجب ، فذلك قوله تعالى في سورة السجدة : وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي يعني : وجبت كلمة العذاب مني .

والوجه الثامن : الحق بعينه الذي ليس بباطل ، كقوله تعالى : ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ أي : وغيره من الآلهة باطل .

والوجه التاسع : الحق يعني : المال والدين الثابت ، كقوله تعالى : وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ يعني : المال .

والوجه العاشر : أحق ، يعني : أولى ، كقوله تعالى : وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ يعني : أولى ، وكقوله تعالى : فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ .

والوجه الحادي عشر : حق ، يعني حظا ، كقوله تعالى : وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ ، يعني : حظا مفروضا .

الحق في الفقه الإسلامي :

استعمل علماء الفقه الإسلامي اسم الحق كثيرا ، في مواضع مختلفة ، وفي معان عديدة متمايزة ذات دلالات مختلفة – على الرغم من انتظامها في معنى عام يجمعها ، هو الثبوت والوجوب – ومع كثرة استعمالهم إياه لم يعن أكثرهم ببيان حدوده في مواضع استعمالاته المختلفة ، بل اكتفوا بوضوح معناه اللغوي ودلالاته عليه ووفائه بجميع استعمالاته في اللغة والعلوم ومخاطبات الناس ، حيث يستعملون كلمة " الحق " مصدرا ، ويطلقونها على الوجود في الأعيان مطلقا ، وعلى الوجود الدائم ، وعلى مطابقة الحكم ، وما يشتمل على الحكم للواقع ومطابقة الواقع له .

ويستعمل " الحق " استعمال اسم الفاعل والصفة المشبهة ، ويطلق عندئذ على الواجب الوجود لذاته ، وعلى كل موجود خارجي ، وعلى الحكم المطابق للواقع وعلى الأقوال والأديان والمذاهب باعتبار اشتمالها على الحكم

المذكور ؛ وعلى الوجهين الأخيرين يقابله : الباطل ، وعلى الوجه الأول يقابله : البطلان .

وقد جاء في حاشية " قمر الأقمار " في الأصول : " الحق : الموجود ، والمراد به هنا حكم يثبت " .

والمراد بالحكم في هذا التعريف أن الحق يثبت من قبل الشارع ؛ لأن هذا هو مفهوم كلمة " حكم " على لسان الفقهاء . ولذا يمكن القول بأن الحق هو : " الحكم الذي قرره الشارع " .

وعرفه الزيلعي بأنه " ما استحقه الإنسان " ، وهذا التعريف ظاهر في أنهم يريدون بالحق : ما استحقه الإنسان على وجه يقره الشرع ويحميه ، فيمكنه منه ، ويدفع عنه .

وقبل أن نعرض لتعريفات الفقهاء والأصوليين للحق ، نلمع إلماعة موجزة إلى ما تطلق عليه كلمة الحق وفيم تستعمل ؟ .

استعمالات كلمة " الحق " في الفقه الإسلامي :

بينا – فيما سبق – استعمال علماء اللغة لكلمة " حق " وما تفيده هذه الكلمة ، ومن استعمالات اللغويين استمد الفقهاء والأصوليون تعريف الحق .

وهو في استعمال فقهاء الشريعة الإسلامية بمعنى الملك ، وهو شامل لكل أنواعه ، فهو أعم من المال ، إذ يشمل : الأعيان والمنافع والديون والحقوق المطلقة .

أما المال : فهو ما يميل إليه الطبع ويمكن ادخاره إلى وقت الحاجة ، منقولا كان أو غير منقول ، فكل ما أمكن حيازته وإحرازه والانتفاع به انتفاعا معتادا ، يعتبر مالا عند الفقهاء .

وأما الأعيان : فهي الأشياء المشخصة المعينة ، كبيت وكرسي وصبرة حنطة . . . فكلها من الأعيان .

وأقول : هذه الدار حقي ، وهذا البيت حقي مثلا .

وأما المنافع : فهي ما يستفاد من الأشياء عند استعمالها ، فمن يستأجر دارا لسكناه أو ليقيم بها عملا أو مصنعا ، فإنه ينتفع بهذه الدار ، ومن يستعير كتابا يقرؤه فإنما ينتفع بقراءته ، ومن يستأجر دابة أو سيارة أو يستعيرها ليركبهما فإنه ينتفع من هذه السيارة أو الدابة بالركوب . . . فكل هذه الفوائد تسمى بالمنافع ، لا شك في هذا ، فالمنافع هي كل ما يستفاد من الأشياء بالاستعمال .

وأما الدين : فهو وصف ثابت في الذمة ، يثبت به الحق في المطالبة ، وقد جاء في مجلة الأحكام العدلية : أن الدين هو ما يثبت في الذمة كمقدار من الدراهم (أو الريالات) في ذمة رجل – ومقدار منها ليس بحاضر ، ومقدار معين من الدراهم أو من صبرة حنطة حاضرتين قبل الإفراز .

وعرفه القابسي في " الحاوي القدسي " بأنه : " عبارة عن مال حكمي يحدث في الذمة ببيع أو استهلاك أو غيرهما " .

وأما الحق المطلق ، أو الحق إطلاقا ، كما يقال ، فهو ما يقابل الأعيان والمنافع المملوكة والديون والأموال . وحينئذ يريدون به المصالح الاعتبارية الشرعية التي لا وجود لها إلا بهذا الاعتبار . كحق

الشفعة وحق الخيار وحق الكفاءة في الزواج ، وحق المرأة في حبس نفسها عن الزوج حتى تستوفي عاجل صداقها .

والحق بهذا المعنى قد يتعلق بالأموال ، كحق الشفعة وحق المرور وحق الشرب ، وقد يتعلق بغير المال ، كحق الحضانة حق القصاص .

وهم قد يلاحظون المعنى اللغوي فقط ، فيقولون : حقوق الدار ، ويقصدون بذلك مرافقها ، كحق التعلي وحق الشرب وحق المسيل ، لأنها ثابتة للدار ولازمة لها ، ويقولون : حقوق العقد ، ويقصدون بذلك ما يتبع

العقد من التزامات ومطالبات تتصل بتنفيذ حكمه ، فعقد البيع حكمه نقل الملكية ، وحقوقه تسليم المبيع ودفع الثمن .

وبذا يكون لكلمة " حق " معنى عام وهو المرادف للملك ، ومعنى خاص وهو الحق إطلاقا ، ومعنى أخص وهو حقوق الارتفاق .

وقد يطلق الحق مجازا على غير الواجب للحض عليه والترغيب في فعله ، إلى غير ذلك من الإطلاقات .

تعريف الحق اصطلاحا :

1 – عرف اللكنوي الحق بأنه حكم يثبت فقال : " الحق : الموجود ، والمراد به هنا حكم يثبت " .

ولا شك أنه يقصد بقوله : حكم ، أن الحق يثبت من قبل الشارع ، لأن هذا مفهوم كلمة حكم على لسان الفقهاء ، وبذا يمكن القول بأن الحق هو الحكم الذي قرره الشارع .

ويرد على هذا التعريف أنه غير قويم ، لأن الحكم في اصطلاح الأصوليين هو خطاب الشارع المتعلق بأفعال المكلفين اقتضاء أو تخييرا أو وضعا . والحق ليس هو الخطاب ، وإنما هو أثر الخطاب . وإن أريد بالحكم ما اصطلح عليه الفقهاء ، وهو الأثر المترتب على الخطاب ، فالتعريف غير مانع ، لأن الأثر لا يقتصر على ما جعله الشارع لازما وثابتا ، بل يشمل أيضا ما جعله الشارع مباحا ، ويشمل أيضا الأحكام الوضعية ، وهي ليست حقا لأحد ، مع أنها حكم ثابت ، فيكون التعريف تعريفا بالأعم .

2 – وعرفه العيني في البناية شرح الهداية بأنه : " ما يستحقه الرجل " . وهذا ظاهر في أنه يريد بالحق ما استحقه الإنسان على وجه يقره الشرع ويحميه فيمكنه منه ويدافع عنه .

ولفظ (ما) في التعريف ، عام يشمل الأعيان والمنافع والحقوق المحددة ، كما أن الاستحقاق الوارد في التعريف متوقف على تعريف الحق ، وهذا يتوقف على معرفة الاستحقاق ، فيلزم منه الدور ، وهو

عيب في التعريف ، إلا أنه يجعل الحق قريبا مما هو معروف عند المحدثين من المشتغلين بالقانون الوضعي ، مع مراعاة ما بينهما من اختلاف .

3 – وعرفه القاضي حسين المروزي الشافعي بأنه : اختصاص مظهر فيما يقصد له شرعا . وهذا التعريف له وزنه من عدة نواح :

الأولى : أنه عرف الحق بأنه اختصاص ، وهو تعريف يبرز ماهية الحق بشكل يميزه عن غيره من الحقائق الشرعية الأخرى .

الثانية : أن وصف هذا الاختصاص بأنه " مظهر فيما يقصد له " يبين أن طبيعة هذا الاختصاص تقوم على وجود آثار وثمار يختص بها صاحب الحق دون غيره في الأشياء التي شرع الحق فيها ، وهذه الأشياء قد تكون مادية وقد تكون معنوية .

الثالثة : أنه يدل على أن فقهاء الشريعة قاموا بتعريف الحق تعريفا صحيحا .

الرابعة : أن الفقه الإسلامي سبق علماء القانون في تعريف الحق بأنه اختصاص وهذا يدل على سمو الفقه الإسلامي وكماله .

من تعريفات المُحْدَثِين :

1 – عرفه الدكتور محمد يوسف موسى بأنه : (مصلحة ثابتة للفرد أو المجتمع أو لهما ، يقررها الشارع الحكيم) .

2 – وعرفه الشيخ علي الخفيف بأنه : " ما ثبت بإقرار الشارع وأضفى عليه حمايته " .

3 – وعرفه الشيخ مصطفى الزرقا بأنه : " اختصاص يقرر به الشارع سلطة أو تكليفا " .

التعريف المختار :

ويمكن أن نعرف الحق بتعريف لا يرد عليه الاعتراض السابق ويكون جامعا مانعا فنقول : الحق هو " اختصاص ثابت شرعا لتحقيق مصلحة ، يقتضي سلطة أو تكليفا " .

فالاختصاص هو جوهر الحق وميزته ، وقولنا : ثابت شرعا : إشارة إلى أن مصدر الحق هو الشرع ، فحيث أقره الشارع ثبت . وتحقيق المصلحة هي ثمرة الحق وغايته . وأما موضوعه : فهو ما يقتضيه من سلطة أو تكليف .

أنواع الحق في الشريعة :

كنا ألمحنا – فيما سبق – إلى ما تطلق عليه كلمة الحق وما يشمله هذا اللفظ ، وفي الفقرات التالية نريد أن نبين أن الحق ينقسم إلى تقسيمات مختلفة حسب وجهة النظر إليه . وقد اعتنى الفقهاء – رحمهم الله – ببيان الحقوق مفردة ، فتكلموا عن حق الشفعة مثلا ، وحق الحضانة ، وحق التملك . . أما

الأصوليون فبحثوا في الحق من حيث صاحبه ، فقسموه إلى : حق لله ، وحق للعبد ، وحق مشترك بينهما .

وفيما يلي أهم تقسيمات وأنواع الحقوق في الشريعة الإسلامية .

أولا : الحقوق المالية وغير المالية :

(أ) الحقوق المالية :

وهي التي تتعلق بالمال وترتبط به ، وهي المشار إليها في قول الرسول – صلى الله عليه وسلم – : من ترك مالا أو حقا فلورثته .

وهذه الحقوق كثيرة منها حق ملكية الأعيان أو الديون والمنافع وحق الشفعة وحق الارتفاق وحق الموصى له في قبول الوصية أو ردها بعد موت الموصي ، وحق الموصي في الرجوع عن وصيته ، وحق الغانم في الغنيمة بعد إحرازها ، فالغانم ليس له قبل القسمة ملك حقيقي ، ولا يثبت له ملك فيها ، إذ أن الملك لا يثبت في الغنائم في دار الحرب للغزاة أصلا ، ولكن ينعقد سبب الملك فيها – وفي هذا خلاف بين الفقهاء – وهو تفسير حق الملك أو التملك عند الحنفية . وعند الشافعية يثبت الملك للغانم بعد القسمة إن قبل ما أفرز له أو رضي به ، وللغانم التملك قبل القسمة بأن يقول كل منهم : اخترت ملك نصيبي .

وقيل : يملكون قبل القسمة بالاستيلاء ، ملكا ضعيفا يسقط بالإعراض ، وعند الإمام أحمد : تملك الغنيمة بمجرد الاستيلاء وإزالة أيدي الكفار عنها .

(ب) الحقوق غير المالية :

وهي التي لا تتعلق بالمال ولا ترتبط به ، وليس المقصود منها المال ، ومن أمثلتها : حق ولي المقتول في القصاص ، وحقه في العفو عن القاتل ، وحق الحضانة ، وحق أحد الزوجين في إجازة النكاح أو رده إذا زوجه فضولي .

ثانيا : الحقوق المجردة والحقوق غير المجردة :

(أ) الحقوق المجردة :

وهي ما كانت غير متقررة في محلها . ومعنى ذلك : أنه لا يترتب على تعلق الحق بمحله أثر قائم يزول بالتنازل عنه ، ومرجعه إلى رغبة المالك ومشيئته ، إن رأى الخير في الانتفاع به فعل ، وإلا ترك ، دون أن يترتب على تركه أو التنازل عنه تغير في حكم محله ، وذلك كحق الشفعة فإنه في الحقيقة نوع من الولاية للشفيع ، وهي أن يتملك العقار بعد أن يتملكه المشتري ، وملكية المشتري لهذا العقار قبل التنازل عن الشفعة هي بعينها بعد التنازل عنها . وإذن فلا تعلق له بالمبيع إلا على هذا الوجه ،

ولا يرى للشفيع فيه حق مستقر يحد من تصرف المشتري فيه وانتفاعه به . فحاله بعد التنازل عن الشفعة هي حاله قبل التنازل عنها .

وكذلك الحال في حق المرور بالنسبة للطريق ، وحق الولاية على المال بالنسبة للمال . وهكذا .

والحقوق المجردة لا يجوز الاعتياض عنها ، فحق الشفعة لو صالح عنه بمال بطلت الشفعة ورجع به . ولو صالح المخيرة بمال لتختاره ، بطل ولا شيء لها ، ولو صالح إحدى زوجتيه بمال لتترك نوبتها لم يلزم ، ولا شيء عليها .

وكذلك لا تضمن الحقوق المجردة بالإتلاف . فإتلاف مجرد الحق لا يوجب الضمان ، لأن الاعتياض عن مجرد الحق باطل ، إلا إذا فوت حقا مؤكدا فإنه يلحق بتفويت حقيقة الملك في حق الضمان ، كحق المرتهن .

(ب) الحقوق غير المجردة :

وهي الحقوق التي لها تعلق بمحلها تعلق استقرار ، وذلك بأن يكون لتعلقها أثر أو حكم قائم في محله يزول بالتنازل عنه ، مثل حق القصاص ، فإنه يتعلق برقبة القاتل ودمه ، ومع قيامه وتعلقه يكون غير معصوم الدم بالنسبة لولي القصاص ، وبالتنازل عن القصاص يصير معصوم الدم .

ثالثا : حقوق تقبل الإسقاط وحقوق لا تقبل الإسقاط :

قال ابن نجيم في الأشباه والنظائر : " لو قال الوارث : تركت حقي ، لم يبطل حقه ، إذ الملك لا يبطل بالترك ، والحق يبطل به ، حتى لو أن أحدا من الغانمين قال قبل القسمة : تركت حقي ، بطل حقه ، وكذا لو قال المرتهن : تركت حقي في حبس الرهن بطل حقه " .

وواضح من هذا أن الحق بالمعنى العام الذي يعني الملك لا يقبل الإسقاط ، إذ الأعيان لا تقبل الإسقاط ، وإلا فإن الحقوق على نوعين منها ما يسقط بالإسقاط ومنها ما لا يسقط به :

(أ) الحقوق التي تقبل الإسقاط :

ظاهر مما تقدم أن كل حق يسقط بالإسقاط ، وهو ظاهر ما في الفتاوى الخانية عند الحنفية حيث قال : رجل له مسيل ماء في دار غيره فباع صاحب الدار داره مع المسيل ورضي صاحب المسيل ، كان لصاحب المسيل

أن يضرب بذلك في الثمن ، وإن كان له حق إجراء الماء دون الرقبة لا شيء له من الثمن ولا سبيل له على المسيل بعد ذلك ، كرجل أوصى لرجل بسكنى داره فمات الموصي وباع الوارث الدار ورضي به الموصى له جاز البيع وبطلت سكناه ولو لم يبع صاحب الدار داره ، لكن قال صاحب المسيل : أبطلت حقي في المسيل ، فإن كان له حق إجراء الماء دون الرقبة ، بطل حقه قياسا على حق السكنى ، وإن كان له رقبة المسيل لا يبطل ذلك بالإبطال .

ومن الحقوق التي تقبل الإسقاط حق الشفعة ، وحق خيار المجلس ، وحق خيار الشرط ، وحق خيار العيب ، وحق الموصى له وحق الوارث قبل القسمة – على خلاف بين الفقهاء – ومنها الدين ، يسقط بالإبراء ، ومنها حق القصاص يسقط بالعفو ، ومنها حق القسم للزوجة يسقط بإسقاطها ، وإن كان لها الرجوع في المستقبل .

يقول الشاطبي : " وأما ما كان من حق العبد في نفسه فله فيه الخيرة ، فهناك يتمحض حق العبد ، فإن شاء استوفاه وإن شاء تركه " ، ثم يقول : " وأما

ما هو للعبد فللعبد فيه الاختيار ، من حيث جعل الله تعالى له ذلك ، لا من جهة أنه مستقل بالاختيار ، وقد ظهر بما تقدم آنفا : تخيير العبد فيما هو حقه على الجملة ، ويكفيك من ذلك اختياره في أنواع المتناولات من المأكولات والمشروبات والملبوسات وغيرها مما هو حلال له ، وفي أنواع البيوع والمعاملات والمطالبات بالحقوق ، فله إسقاطها وله الاعتياض عنها والتصرف فيما بيده من غير حجر عليه إذا كان تصرفه على ما ألف من محاسن العادات ، وإنما الشأن كله في فهم الفرق بين ما هو حق لله تعالى وما هو حق للعباد " .

(ب) حقوق لا تقبل الإسقاط :

تقدم فيما سبق أن الأصل في الحقوق أنها تقبل الإسقاط ، ولكن هناك حقوق أخرى لا تقبل الإسقاط لمانع من الموانع ، وقد ذكر ابن نجيم ضابطين لذلك :

أولهما : أن يكون الحق من حقوق الله تعالى ، فهذه لا تقبل الإسقاط من العبد ، فلو عفا المقذوف ثم عاد وطلب إقامة الحَدِّ على القاذف حُدَّ القاذف ، لكن لا يقام الحد بعد عفوه لفقد الطلب .

ثانيهما : أن يكون الحق فيما ليس بلازم من العقود ، فلا يتصف بالإسقاط ، كالوكالة والعارية وقبول الوديعة .

ثم ذكر بعد ذلك مسائل وقع الاشتباه فيها ، منها : الواقف إذا اشترط لنفسه شرطا في أصل الوقوف ، كشرط الإدخال والإخراج والزيادة والنقصان والاستبدال ، فأسقط حقه من هذا الشرط .

وقد صنف بعض الباحثين الحقوق التي لا تقبل الإسقاط ، ووضع لها ضوابط أربعة كالآتي :

(أ) حقوق لا تقبل الإسقاط لأنها لم تجب بعد ، مثل إسقاط الزوجة نفقتها المستقبلة التي لم يدخل وقتها ، ومثل إسقاط حق خيار الرؤية قبل الرؤية ، لأن الحق نفسه لم يوجد عند الإسقاط .

(ب) حقوق لا تسقط لأن الشارع اعتبرها وصفا ذاتيا لصاحبها لازما له ، لا ينفك عنه ، مثل : إسقاط الأب والجد حقهما في الولاية على الصغير .

(ج) حقوق لا تسقط لأن الإسقاط فيه تغيير للأوضاع الشرعية ، مثل إسقاط الواهب حقه في الرجوع عن الهبة ، إذ في إسقاطه تغيير لحكم الشرع .

(د) حقوق لا تسقط لأن للغير حقا فيها ، مثل إسقاط الحاضنة حقها في الحضانة ، ومثل إسقاط المقذوف حقه في حد القذف – على خلاف بين الفقهاء – فإن شيئا من هذا لا يسقط بالإسقاط ؛ لأن للصغير المحضون حقا في الحضانة وهو مقدم ، ولأن لله تعالى حقا في وجوب الحدود ، وحقه تعالى مغلب على حق العبد ، فيقدم حق الله تعالى مراعاة للحق الأغلب .

رابعا : حقوق تورث وحقوق لا تورث :

تقسم الحقوق أيضا من وجهة نظر انتقالها إلى الورثة إلى قسمين : فهناك حقوق تنتقل إلى الورثة فتورث ، وحقوق لا تنتقل ولا تورث ، وفي هذا نجد خلافا بين الفقهاء مثاره حديث رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : من ترك مالا أو حقا فلورثته ، فمن الفقهاء من قال بوراثة الحقوق أخذا من إطلاق الحق في الحديث . ومنهم من نازع في ذلك ؛ لأن المراد بالحق في الحديث حق قابل للانتقال ، بدليل قوله : فلورثته – على ما مر – وليس كل حق قابلا للانتقال . وقالوا أيضا : إن الثابت في الحديث قوله – صلى الله عليه وسلم – : من ترك مالا وأما الزيادة الأخرى أو حقا فلم تثبت ، وما لم يثبت لا يتم به الدليل .

ونعرض فيما يلي لأقوال العلماء في بعض الحقوق :

(أ) حقوق اتفقوا على أنها تورث :

كحقوق الارتفاق ، سواء كانت تابعة للعقار المرتفق به أم منفردة عنه ، فتنتقل إلى ورثة مالكها كما تنتقل الأعيان ؛ وذلك لأن الوراثة خلافة قهرية بحكم الشارع وليست تمليكا اختياريا ، ولأن الملك بالإرث يقع حكما لا قصدا ، ويجوز أن يثبت الشيء حكما وإن كان لا يثبت قصدا .

وكذلك حق الكفالة بالدين ، وحق حبس المبيع عن المشتري حتى يستوفي البائع عاجل الثمن ، وحق حبس الرهن . فهذه الحقوق تورث لأنها من الحقوق اللازمة المؤكدة .

(ب) حقوق اختلفوا في انتقالها إلى الورثة :

كحق خيار المجلس وخيار الرؤية ، فقال الحنفية : إنها لا تورث ، وخالفهم في ذلك الشافعي وأحمد ومالك ، وكحق خيار العيب الذي قال فيه الحنفية : إنه يثبت للورثة ابتداء ، بينما قال الجمهور إنها تورث ، وكذلك حق خيار الشرط وخيار الشفعة جرى فيهما هذا الخلاف ، وحد القذف إذا مات المقذوف .

قاعدة فيما يقوم فيه الورثة مقام مورثهم من الحقوق :

وبحث ابن رجب الحنبلي – رحمه الله – قاعدة فيما يقوم فيه الورثة مقام مورثهم من الحقوق . وهي نوعان : حق له وحق عليه .

فأما النوع الأول : فما كان من حقوق يجب بموته ، كالدية والقصاص في النفس ، فلا ريب في أن لهم استيفاءه ، سواء قلنا : إنه ثابت لهم ابتداء أو منتقل إليهم عن مورثهم ، وما كان واجبا له في حياته إن كان قد طالب به أو هو في يده . . ثبت لهم إرثه . وأما إن لم يكن يطالب به : فإن كان من حقوق التملكات والحقوق التي ليست بمالية ففيه قولان . وإن كان حقوق أملاك ثابتة متعلقة بالأملاك الموروثة . . فينتقل إلى الورثة بانتقال الأموال الثابتة المتعلقة بها ، بدون المطالبة بخلاف الضرب الأول ، وهو حقوق التملكات .

وفي ذلك صور من الرهن والكفالة .

وأما النوع الثاني : وهو الحقوق التي على المورث ، فإن كانت لازمة قام الوارث مقامه في إيفائها ، وإن كانت جائزة : فإن بطلت بالموت فلا

كلام فيها ، وإن لم تبطل بالموت : فالوارث قائم مقامه في إمضائها وردها . ويتخرج على هذا مسائل ، منها : إذا مات وعليه دين أو وصى بوصايا ، فللورثة تنفيذها إن لم يعين وصيا .

كما بحث ابن رجب أيضا في تقسيم الحقوق من جهة أخرى إلى خمسة أقسام ، أحدها : حق ملك ، والثاني : حق تملك ، والثالث : حق الانتفاع ، والرابع : حق الاختصاص ، والخامس : حق التعلق لاستيفاء حق . وضرب أمثلة لكل نوع منها .

أنواع الحق باعتبار صاحبه :

وقد عني الأصوليون والفقهاء ببحث الحق وأنواعه باعتبار من يستحق الحق ، فقسموه إلى قسمين رئيسيين : وهما حق الله وحق العبد ، وأحدهما يشترك مع الآخر ويكون هو المغلب ، فيكون لدينا أربعة أقسام وفي هذا يقول السرخسي : اعلم أن جملة ما ثبت بالحجج الشرعية الموجبة للعلم قسمان : الأحكام المشروعة ، وما يتعلق بها المشروعات . والأحكام أربعة : حقوق الله خالصا ، وحقوق العباد خالصا ، وما يشمل على الحقين وحق الله فيه أغلب ، وما يشمل عليهما وحق العباد فيه أغلب .

1 – حق الله تعالى خالصا :

وهي ما فهم من الشرع أنه لا خيرة فيها للمكلف ، سواء كان الحق له معنى معقول أو غير معقول – أي غير معلوم العلة ولا يثبت بالقياس – وهي ما يتعلق به النفع العام ، فلا يختص بالحق فيها أحد ، وتنسب هذه الحقوق إلى

الله تعالى تعظيما لخطرها وشمول نفعها ؛ لأن الله تعالى يتعالى عن أن ينتفع بشيء فلا يجوز أن يكون شيء حقا لله تعالى بهذا الوجه . بل الإضافة إليه لتشريف ما عظم خطره وقوي نفعه وشارع فضله ، بأن ينتفع به كافة الناس .

فحقوق الله تعالى هي الحقوق التي تتعلق بواجبات العباد أو الصالح العام للأمة ، ولا سيما الحدود التي شرعها الله ، لأنه عليها يتوقف كيان المجتمع ، وكثير من هذه الحقوق هي التي تسمى اليوم في لغة القوانين الدستورية الحديثة " حقوق الدولة " أو " الحقوق العامة " ، وهي هنا في الإسلام على الضد من ذلك تسمى " واجبات على الدولة " و" حقوقا لله تعالى " .

وعرفها ابن تيمية – رحمه الله – بأنها : التي ليست لقوم معينين ، بل منفعتها لمطلق المسلمين أو نوع منهم ، وكلهم محتاج إليها ، وتسمى " حدود الله " أو " حقوق الله " ، وهي نوعان : أحدها : الحدود ، والثاني : الحقوق المالية .

وجعلها السرخسي ثمانية أنواع – ويمكن ردها إلى النوعين السابقين – : عبادات محضة ، وعقوبات محضة ، وعقوبة قاصرة ، ودائرة بين العبادة والعقوبة ، وعبادة فيها معنى المئونة ، ومئونة فيها معنى العبادة ، ومئونة فيها معنى العقوبة ، وما يكون قائما بنفسه ، وهذه الأصل فيها التعبد .

2 – حق العبد خالصا :

وما يكون محض حق العباد فهو أكثر من أن يحصى ، نحو ضمان الدية وبدل المتلفات ، والمغصوب ، وما أشبه ذلك مما يتعلق به مصحلة خاصة ، ولا يقصد به في الواقع إلا حقوق الامتلاك للأفراد ، أو التي تتعلق بالمصلحة الخاصة .

وقد بين الشاطبي – رحمه الله – أن ما هو حق للعباد فيه حق الله ، إذ كل حكم شرعي ليس بخال عن حق الله تعالى ، وهو جهة التعبد ، فإن حق الله تعالى على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا ، وعبادته سبحانه بامتثال أوامره واجتناب نواهيه بإطلاق . فإن جاء ما ظاهره أنه حق للعبد كالقصاص مجردا ، فليس كذلك بإطلاق . بل جاء على تغليب حق العبد في الأحكام الدنيوية ، كما أن ما هو حق لله فهو راجع إلى العباد ، إذ كل حكم شرعي فيه حق للعباد ، إما عاجلا وإما آجلا بناء على أن الشريعة إنما وضعت لمصالح العباد . ولذا قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في الحديث : حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا . . . وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئا .

ومن هنا كان من الحقوق ما اجتمع فيه الحقان ، حق الله وحق العبد ، وأحدهما غالب فيه ، فيمكن تعريفها بأنها : " ما تجمع بين مصالح عامة ومصالح للأفراد " .

3 – ما اجتمع فيه الحقان وحق الله فيه أغلب :

نحو حد القذف عند الحنفية ، إذ لا خلاف أن فيه حق الشرع وحق العبد ، فإنه شرع لدفع العار عن المقذوف ، وهو الذي ينتفع به على وجه الخصوص ، فمن هذا الوجه حق العبد ، ثم إنه شرع زاجرا ، والقصد من شرع الزواجر كلها إخلاء العالم عن الفساد ، وهذا دليل على أنه حق الشرع ، إذ لم يختص بهذا إنسان دون غيره .

إلا أن بعض الفقهاء كالشافعيين وأحمد – رحمهما الله – مالا إلى تغليب حق العبد ، تقديما لحق العبد باعتبار حاجته وغنى الشرع ، والحنفية مالوا إلى تغليب حق الشرع ، لأن ما للعبد من الحق يتولاه مولاه ، فيصير حق العبد مرعيا به ، وليس كذلك عكسه ، لأنه لا ولاية للعبد في استيفاء حقوق الشرع إلا نيابة عنه .

وهنا نجد أيضا خلافا بين الفقهاء في تغليب أحد الحقين على الآخر في جملة مسائل تعرف في مظانها من كتب الفقه .

4 – ما اجتمع فيه الحقان وحق العبد غلب :

وذلك نحو حق القصاص ، فإن فيه حق الله تعالى ، ولهذا يسقط بالشبهات ، وهي جزاء الفعل ، وأجزية الفعل تجب لحق الله تعالى ، ولكن لما كان وجوبها بطريق المماثلة عرفنا أن معنى حق العبد راجح فيها وأن وجوبها للجبران بحسب الإمكان ، كما وقعت الإشارة إليه في قوله تعالى : وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الأَلْبَابِ

ولهذا جرى فيه الإرث والعفو والاعتياض بطريق الصلح بالمال كما في حقوق العباد .

منشأ الحق في الشريعة الإسلامية :

الحق في الشريعة الإسلامية منحة من الله تعالى لصاحب الحق ، يستند إلى المصادر الشرعية التي يستنبط منها الحكم ، فلا يوجد حق شرعي من غير دليل يدل عليه ، فالحق في الفقه الإسلامي وليد الشريعة ، ولم يكن حقا طبعيا وإنما هو منحة من الله تعالى لعباده . وهو سبحانه يعطي الحقوق مقيدة ولا يعطيها مطلقة ، ليمكن الائتلاف بين الحقوق والواجبات وبين مصالح الناس بعضهم مع بعض ، فلا تتضارب الحقوق ، بل يسير المجتمع على أسس متينة متماسكة .

على أن الأسباب التي تستفاد منها الحقوق ليست مثبتة لها بذواتها ، بل بجعل الله تعالى لها مثبتة ، ولذا ثبت من المقررات الشرعية أن الأسباب جعلية ، أي ليست مؤثرة بذاتها ، فعقد البيع مثلا يؤثر في إثبات ملكية المبيع للمشتري وملكية الثمن للبائع غير أن العقد ليس بذاته مثبتا لذلك بل بجعل الله تعالى له مثبتا .

يقول الشاطبي – رحمه الله – : " ما هو حق للعبد إنما ثبت كونه حقا له بإثبات الشرع ذلك له ، لا بكونه مستحقا له بحكم الأصل " .

ويقول الدبوسي في : " تقويم الأدلة في الأصول " : " فالله تعالى لما خلق الإنسان ليحمل أمانته ، أكرمه بالعقل والذمة (التكليف) ، حتى صار بهما أهلا لوجوب الحقوق له وعليه ، فثبت له حق العصمة والحرية والملكية ، بأن حمل حقوقه وثبت عليه حقوق الله تعالى التي سماها أمانة . . والآدمي لا يخلق إلا وله هذا العهد والذمة ، ولا يخلق إلا وهو أهل لوجوب حقوق الشرع عليه كما لا يخلق إلا وهو مالك لحقوقه " .

طبيعة الحق في الشريعة :

وإذا كان الحق وليد الشريعة وبإقرار من الشارع فإن ذلك يترتب عليه أن الحقوق في الإسلام ليست حقوقا مطلقة ، بل هي حقوق مقيدة ، وهي تؤدي وظيفة اجتماعية ، وليست إطلاقات خاصة لأصحابها ، كما أن حرية الإرادة وسلطانها في العقود مقيدتان في الشريعة . وهذه الحقوق مقيد استعمالها بالعدل والإحسان والتكليف ، ولذلك فليس الإنسان حرا في أن يستعمل حقوقه كيف يشاء ، وإنما هو محوط في ذلك بقيود شديدة ومسئولية جسيمة ، وليست الحقوق في الإسلام للتمتع فحسب ، بل لإدراك حق الجماعة الإسلامية والمقاصد الشرعية فيها .

ويرى بعض العلماء المعاصرين أن فكرة الحق في الشريعة الإسلامية تلتقي مع النظرية الحديثة في " المراكز القانونية العامة " فالملكية في الإسلام – كما هي في القانون الحديث ، مركز قانوني عام – لأن الشريعة الإسلامية هي التي أنشأت هذا الحق ، ولكن عناصر هذا المركز في الإسلام تغاير نظيرتها في القانون ، فبينما نجد عنصر الحق الذاتي والمزايا بارزين في القانون نجد أن عنصر التكليف هو أبرز العناصر في الشريعة الإسلامية ، ثم يليه عنصر المزايا الموضوعية . . وهذا من شأنه أن يؤثر في تقييد الملكية في استعمالها بما لا يضر الآخرين في الاستعمال والاستغلال والتصرف .

بين الحق والواجب :

وفي بيان تصور حقيقة هذه الفكرة ، الحق والواجب ، يقول الدكتور محمد ضياء الدين الريس : " والحقيقة العامة التي ينبغي أن تقرر بادئ ذي بدء أنه بينما ترمي القوانين الوضعية إلى أن تجعل قاعدتها الرئيسية في الأحكام فكرة (الحقية) أو (الامتلاك) نرى الشريعة الإسلامية تهدف إلى أن تجعل قاعدتها الأولى فكرة (الوجوبية) والالتزام أكثر مما تجعل فكرة الحقية والاستحواذ . فالإنسان في عرف الشرع لا ينظر إليه أولا على أنه صاحب (حق) ولكن ينظر إليه على أنه متحمل (مسئولية) أو ملزم بأداء واجب . ولذا فالكلمة التي تطلق عليه باعتباره عضوا في مجتمع هي كلمة " مكلف " ، فكل فرد في الإسلام هو مكلف ، أي مسئول . وعلى الإنسان أن يستشعر أنه مؤتمن أو وكيل على الحقوق فيتصرف فيها تصرف الوكيل ، في الحدود التي عينت لوكالته .

وهذه النظرة لن تنفي فكرة الحق ، وإنما تضع قيودا عليها لمصلحة الجماعة والفرد ، إذ لولا وجود الحق لما وجدت فكرة الواجب ، فكل واجب يقابله حق .

شخصيات بناءة

أمينة قطب المرأة الرائدة

بقلم/سمية محمد بدري

أمينة قطب" أديبة وشاعرة مصرية معاصرة.. ولدت ونشأت في ظل أسرة علم وأدب وجهاد، وعاشت تجارب الجهاد والصبر والفقدان، وتجرَّعت الألم، وذاقت فجائع متتالية.. اعتقلت عندما اعتقل جميع آل قطب، وصبرت على السجن والأذى .. استشهد أخوها العالم الربَّاني سيد قطب، ونال الشهادة بعض أقاربها، واستشهد زوجها المجاهد كمال السنا نيري، فصبرت واحتسبت، ووظَّفت الأدب "قصة وشعراً" في خدمة الدين والجهاد والمعاني النبيلة في الحياة.

ولدت الأديبة أمينة قطب في قرية "موشا" بمحافظة أسيوط في مصر، ونشأت في أسرة كريمة متدينة. وكان والدها الحاج "قطب إبراهيم" على حظ من الوعي والمعرفة والتنوُّر، وكان متديناً ووجيهاً في بلده. وكانت أمها امرأة فاضلة ومتدينة، وكان القراء يرتلون القرآن في دارهم طوال شهر رمضان. وبعد وفاة والدها الحاج إبراهيم، غادرت أسرتها القرية إلى القاهرة واستقرت فيها.

اتصفت أمينة بالعديد من الصفات الطيبة، فهي امرأة فاضلة، داعية وأديبة وشاعرة، كانت مهتمة بالأدب، وخاصة في مجال كتابة القصة القصيرة، وقد نشرت عدداً منها في المجلات الأدبية التي كانت تصدر في القاهرة، مثل مجلة الأديب، ومجلة الآداب، ومجلة العالم العربي، وذلك في سنوات 1947م إلى 1954م. وكتبت ست قصص ضمَّها كتاب "الأطياف الأربعة" الذي اشتركت في كتابته مع إخوتها الشهيد سيد ومحمد وحميدة.

ولَّما تعرَّضت الحركة الإسلامية في مصر للابتلاء، واقتيد آل قطب إلى السجون والمعتقلات، اعتُقلت أمينة كغيرها، وظلَّت رهن الاعتقال في السجن الحربي فترة من الزمن، وتزوَّجت أمينة من المجاهد "كمال السنانيري"، وما لبثت أن فقدته شهيداً، كما فقدت أخاها من قبل الأديب المجاهد "سيِّد قطب".

إنَّ قصة زواج "أمينة" من المجاهد "السنانيري" لتبعث على الإجلال والعجب معاً، فقد تمَّ الرباط بينهما حين كان "السنانيري" داخل السجن. تقول السيدة أمينة: كان هذا الرباط قمة التحدي للحاكم الفرد الطاغية الذي قرر أن يقضي على دعاة الإسلام بالقتل أو الإهلاك بقضاء الأعمار داخل السجون.. لقد سجن المجاهد الشهيد "كمال السنانيري" في عام 1954م، وقُدِّم إلى محاكمة صورية مع إخوانه لأنهم يقولون ربنا الله.. وحكم عليه بالإعدام، ثم خفف الحكم إلى الأشغال الشاقة المؤبدة (25 عاماً) ثم يعاد بعدها إلى المعتقل.

بعد أن قضى خمس سنوات من المدة، وفي أثناء ذهابه إلى مستشفى سجن "ليمان طرة" للعلاج، التقى هناك أخاها الشهيد سيد قطب، وطلب منه يد أخته "أمينة"، وعرض الشهيد الأمر على أخته؛ أمر ذلك العريس الذي يقضي عقوبة المؤبد، وباق منها عشرون سنة، فما كانت من الأخت إلا أن وافقت بلا تردد، وأخذت عنوان الأخ وزارته في السجن وتمت الرؤية ثم عقد الزواج. وقويت الرابطة بينها وبين من خطبها من وراء الأسوار، وكانت زيارتها ورسائلها له تقوي من أزره وأزر إخوانه.

وعندما زارته ذات مرة في سجن "قنا"، وكانت ترافقها شقيقته، حكت الشقيقة لأخيها ما تكبدتاه من عناء حتى وصلتا إليه منذ أن ركبتا القطار من القاهرة إلى "قنا" ثم إلى السجن، فقال لها: "لقد طال الأمد وأنا مشفق عليكم من هذا العناء، ومثل ما قلت لك في بدء ارتباطنا قد أخرج غداً وقد أمضي العشرين سنة الباقية، وقد ينقضي الأجل وأنا هنا، فلك الآن مطلق الحرية في أن تتخذي ما ترينه صالحاً في أمر مستقبلك.. ولا أريد ولا أرتضي لنفسي أن أكون عقبة في طريق سعادتك، إنهم يفاوضوننا في تأييد الطاغية ثمناً للإفراج عنا، ولن ينالوا مني بإذن الله ما يريدون حتى ولو مزقوني إرباً. فلكِ الخيار من الآن، واكتبي لي ما يستقر رأيك عليه، والله يوفقك لما فيه الخير".

وأرادت أمينة أن تُجيب خطيبها المجاهد، إلا أنَّ السجَّان أمرها بالانصراف، فقد انتهى وقت الزيارة. وعادت إلى البيت لتكتب له رسالة كانت قصيدة نظمتها له لتعلن فيها أنها اختارت طريق الجهاد.. طريق الجنَّة.. وقالت له: "دعني أشاركك هذا الطريق" وكان لهذه القصيدة أثر كبير في نفس المجاهد.

وخرج السنانيري من السجن بعد أن أفرج عنه عام 1973م، وتمَّ الزواج، وعاشت أمينة معه أحلى سنوات العمر. وفي الرابع من سبتمبر سنة 1981م اختُطف منها مرة أخرى ليودع في السجن، ويبقى فيه إلى أن يلقى الله شهيداً في السادس من تشرين الثاني (نوفمبر) من العام نفسه، وسُلِّمت جثته إلى ذويه شريطة أن يوارى التراب دون إقامة عزاء.. وأذاعت السلطات أنَّه انتحر!! ونشرت الصحف سبب استشهاده؛ فعزت ذلك إلى إسراف سلطات التحقيق في تعذيبه.

كانت أمينة في مطلع شبابها شغوفة بقراءة الشعر وحفظه، حتى إنَّها كانت تترك ما عليها من واجب دراسي وتسهر إلى وقت متأخر من الليل لتحفظ قصيدة أعجبتها. وكان الجو من حولها يغذي ذلك الشغف بالشعر.. فكان شقيقها الكبير العائل والموجه شاعراً وكاتباً، وكان الشقيق الثاني شاعراً وكاتباً أيضاً.

كتبت أمينة بعد قراءة جيدة للشعر عدَّة أبيات تعبِّر فيها عن عواطفها وأحاسيسها، لكن تلك الأبيات لم تكن شعراً، وبعد عدَّة محاولات لم تصل في نظم الشعر إلى شيء، واتجهت إلى كتابة القصة القصيرة، لكن قراءتها للشعر ظلت مستمرة، وقد شجعها شقيقها الكبير "سيد" على المضي في هذا المجال، حيث كان ينقد لها ما تكتب ويبصرها بمسالك الدرب الذي رأى أنها تملك السير فيه، ووجهها ووجه باقي

إخوته وهو بين جدران السجن، أن تأخذ كتابتهم الطابع الإيماني، وأن يكون تصورهم وأحاسيسهم ومشاعرهم بعيدة كلها عن تصورات الجاهلية واتجاهاتها في التعبير، في النثر والشعر، ومن ثم كانت مجموعة أقاصيصها الثانية "في الطريق" محاولة أولية لإيجاد قصة نظيفة تأخذ طابعاً إنسانياً.

وفي تلك الأثناء كان قد تمَّ الرباط بينها وبين المجاهد كمال السنانيري وهو داخل السجن، وكانت التجربة عميقة مثرية للأحاسيس والخيال والمشاعر. وكانت كل زيارة تقوم بها أمينة للسجين المجاهد الصلب، تثري خيالها ومشاعرها بألوان الأحاسيس، فتضمنها قصة أو رسالة من رسائلها إليه، أو تضع الأقاصيص في مخابئها حتى يأذن الله بالخروج.

وكتبت أمينة مجموعتين قصصيتين هما "تيار الحياة" و"في الطريق"، ولم تتجه إلى كتابة الشعر إلا بعد أن ارتبطت بالمجاهد السنانيري وهو في السجن إثر إحدى الزيارات التي كانت قد تأثرت فيها من كلام زوجها لها بأنَّ لها الخيار في اتخاذها موقفاً تراه مناسباً وتتجه لمستقبلها؛ لاحتمال أن يطول مكثه في السجن، والذي آلمها لقصر مدة الزيارة، فبدأت بكتابة رسالة إليه تعتب فيها على "ذلك الحديث وذلك التفكير في أمر فك ارتباطهما" وهنا كما توضح أمينة وتقول: "وجدت كلماتي تخرج منظومة على غير تدبير مني".

وكانت أمينة قد كتبت عدة أبيات أعجب بها زوجها إعجاباً شديداً، وربما كان لذلك تأثير في معاودة نظمها الشعر، لا سيما أنَّ المناسبة تستدعي ذلك.. ومنذ تأثرها بكلام زوجها أخذت أمينة تنظم الشعر وتجيده.

وجاءت سنة 65 و 1966م لتحمل المصاب الجلل، وكان فيها من الأهوال ما يعجز الشعر والنثر عن وصفه أو التعبير عنه. كانت تجربة عنيفة هائلة، صمتت فيها كل أوتار النفس، ولم تعد تملك الحديث..

وخرج شريك حياتها من السجن، ثم اعتقل مرة أخرى، ثم كان استشهاده الذي عُد انتصاراً له على الباطل، ومناراً للسالكين طريق الحق. أما الزوجة الصابرة "أمينة" فكان هذا الحادث شديد الوقع عليها، عميق الأثر في القلب والشعور، فكانت قصائدها صورة من صور التعبير لهذا الابتلاء، ولوناً من ألوان المعاناة لهذا الفراق.. جاءت لتبرز قضية خالدة على مدى الزمان.. قضية الإيمان في مقابل الضلال، قضية العباد الذين يفردون الله سبحانه بالطاعة والعبادة، ويأبى عليهم إيمانهم أن يحنوا رؤوسهم لغير الله..

جاءت هذه القصائد لتحمل في ثناياها تجربة نفس ومعاناة قلب، قدَّر لهما أن يخوضا بعمق معركة الصدام الهائل بين الحق والباطل في عصرنا الحاضر.. تلك المعركة الأزلية بين عباد الرحمن وعبدة الشيطان.. تقول أمينة: "ففي معركة من تلك المعارك فقد هذا القلب الشقيق الراعي وبعض الأعزاء من

شباب الأسرة المقربين، ثم كان نصيبي فيها مضاعفاً، والحمد لله، حين فقدت فيها أيضاً شريك الحياة".

تقول أمينة: "لم تكن هذه الدموع قط دموع حسرة أو ندم، فحاشا لله أن تندم نفس مؤمنة على ما قدَّمت، أو على ما قدَّم الأحباب من عمل نال بت صاحبه ـ بإذن الله ـ الكرامة بالشهادة في دين الله، ولكنه الفراق الطويل ومعاناة الخطو المفرد بقية الرحلة المكتوبة".

أمينة شاعرة إسلامية عانت الألم الذي يواجه دعاة الإسلام، وكان في أسرتها المعذَّب والسجين والشهيد، فجاء شعرها صورة لآلامها.. في ديوانها "رسائل إلى شهيد" صرخة استنهاض في وجه من تسميهم بالخانغين أو القطيع، أولئك الذين رضوا بالذلة والهوان.. وفيه مجموعة من القصائد جاءت كأنها رسائل وجهتها إلى الزوج الشهيد، وإلى السائرين على درب الحق رغم أشواك الطريق.. ففي قصيدة "في دجى الحادثات" تصف لقاء كيانين ألّفت بينهما العقيدة ووحَّد بينهما الإحساس المسؤول بثقل الرسالة وجسامتها ليتحركا في صبر الأباة المجاهدين صوب الهدف الذي أملاه الواجب الشرعي، تقول:

منذ كان اللقاء
منذ ذاك الزمان
لم يكن للفراق
في رؤانا مكان
قد قطعنا العهود
نبتغي المستعان
أن نكون الجنود
وحُماة المكان من شرور الفجور أو عميل جبان

وفي قصيدة "من المنفى" كتبت أمينة عن الزوج الحبيب الشهيد، وتغنَّت بفرحة اللقاء قائلة:

شاقني صوتك الحبيبُ على الها
تف يدعو ألاّ يطول غـــيابي
شاقني أن تقول لي: طال شوقي
قد غدا البيتُ موحشاً كاليباب
شاقـني ذلك النـــداء حـــنوناً
فلتعـــــودي لعالم الأحـــباب
شاقـــني أن تقـــول: حُبك بعداً

لا تعـيـــدي بواعث الأسـباب

وشعرت بغربة الحياة بعد استشهاد زوجها، وقد جمعت غربتها بين فقدها لزوجها وبين غربة الحياة حولها؛ لما فيها من مظاهر القهر والبطش والبعد عن دين الله، فهي تصور غربتها عن زوجها فتقول:

كيف الحياة إذن وكيف أعيشها

في عـــالم خـــــاوٍ وجدّ حـــزين

في القفر أحيا والحياة مـــريرة

بعد الفراق، وفي هجير شجوني

ولما كان زوجها قد رحل فداءً لدينه ومبادئه، نراها تقول:

وطيوف الذكرى تروح وتغدو

في حـــريق للقلب يدمي جفوني

أتعزي بالذكـــرى أنَّ "كمالاً"

قد شرى بالحياة مجـــداً لديني

ولنستمع إليها في مناجاتها لزوجها بعد استشهاده، وهي تقول:

أنا في العذاب هـــنا وأنت بعالم

فيه الجـــــزاء بجنَّة الديَّان

مارست من أجل الوصول عبادة

فيها عجائب طاقة الإنســـان

كانت جهاداً في الطريق لدعـــوة

هي للأنام هدى وخير أمان

إلى أن تقول:

هلاّ دعـــوت الله لي كي ألتقي

بركابكم في جـــنَّة الرضـــــوان

هلاّ دعوتم في سماء خلودكم

عند المليك القـــــادر الرحمـــن

أن يجعل الهمّ الثقـــيل براءة

لي في الحساب فقد بقيت أعاني

ثم تسأل الله تعالى الثبات والمغفرة، وأن لا يطول عيشها في دنيا الفناء، فهناك نعيم الله أبقى، وهناك العيش السعيد مع الأتقياء والمجاهدين، فتقول:

فاغفر الأمنيات يا ربّ عفواً

وأعنّي دوماً ببـــــرد العزاء

لا تدعني للحزن يطمس قلبي

لا تدعني أعيش دنيا الفناء

واجعل الحبّ للبقـاء المرجّى

في نعـــــــيم بعالم الأتقـياء

برضـــاء أناله مـــــنك يا ربّ

وأحيا في فيضـــــه بالسماء

قضايا دعوية وتربوية

حركةُ الإحياء الإسلاميّ .. فكرٌ وعمل

د.طارق عبد الحليم

الحمد لله والصّلاة والسّلام على رَسول الله صلى الله عليه وسلم

حين كنّا شباباً في الستينيات، ثم رجالاً في السبعينيات، تعوّدنا سَماع كلمة "الصحوة الإسلامية"، دلالة على تلك الحركة الإسلامية التي توسعت قاعدتها تدريجياً، بعد أن إنجلت للناس حقيقة حركة العسكر في 52، ثم أحداث 54 ، وما تلاها من هجومٍ شَرسٍ على الإسلام ودعاته، والذي أدى إلى ردة فعلٍ أخرجت من عباءتها ما تسمى بالصحوة حينذاك.

وقد كان دائما في النفس شئ من هذه التسمية، إذ إن الصحوة تعنى غيابٌ موقتٌ للوعى، يعود بعده الوعى نتيجة حافزٍ دافعٍ، فيظهر على السطح منه ما استقر في الإعماق. وقد يكون هذا المعنى فيه قدرٌ من الصحة، حين نتحدثُ عن الصحوة الإسلامية، إلا إنه، فيما نحسب، لا يحملُ تشخيصاً كاملاً للواقع، ومن ثم توجيها ناجعاً للحركة. والأقرب أن تكون هذه العملية الإسلامية التي بصددها المسلمون في هذا العصر، هي عملية "إحياءٍ" لا صحوة. والصحوة، ظاهرة من الإحياء، والإحياء أعمّ منها وأشمل.

ولاشك أنّ هذا التغيير الذي حدث بصدد تبنى مصطلح "الإحياء"، والذي ورد في كتابات رواد حركة أهل السنة والجماعة منذ عقودٍ، كالشهيد سيد قطب والشيخ الفاضل الجليل عبد المجيد الشاذليّ، يمثل تصحيحاً للفهم والنظر في الفكرة والحركة جميعاً.

الأمة الإسلامية، كأمة رائدة بين الأمم، وكحضارة ماثلةٌ بين الحضارات، قد اختفت من الوجود، حقيقة منذ قرون، وظاهراً منذ عقود. ذلك أن مقوّمات الأمة تتمثل في وحدة ثقافية وفكرية، ينشأ عنها نظام متكامل، يحكم حياة الناس، كمرجعية لا يصح الخروج عليها بحال. ومقومات الحضارة هي ذلك النظامُ المرجعي ذاته، إجمالاً وتفصيلاً. وهما يختلفان عن مفهوم الدولة، وإن لم يكتمل مفهوم الأمة بشكل عامٍ إلا في ظل دولة واحدة. وبهذا المفهوم، فإن "أمة المسلمين" لم يعد لها كيانٌ متوحدٌ ملموسٌ قائمٌ على الأرض، خاصة بعد سقوط الخلافة. واسارع بالقول أنّ هذا لا يعنى، على الإطلاق، إختفاء الإسلام، أو كفر المسلمين عامة، كما أحب البعض أن يروج عمن ذهب هذا المذهب. الإسلام لا يزال، وسيظل موجودا على الأرض بحفظ الله له، ولا يزال موجوداً في نفوس غالبية أهله يحبونه ولا يستبدلونه بغيره. إنما نحن نقصد إلى "الأمة" التي هى أكبر من الفرد، وأكبر من مجموع الأفراد. "الأمة" كما ذكرنا، يجب أن تجتمع لها خُصوصياتٍ كثيرة، منها مجموع أفرادها، ومنها الإتفاق على الفكر الحاكم بين أبنائها، ثم إتخاذه مرجعاً لا مساومة عليه. وهو ما غاب عن أمتنا، أو غابت عنه أمتنا، منذ عقودٍ على أقرب تقدير. وكان الإنقسام السياسيّ لدول عدة، تحت مفهوم القومية، مُكرّساً لإزاحة هذا المفهوم من العقول والنفوس، ومحواً لوجود

الأمة الواحدة من الواقع، وتخريباً لمشاركة "الأمة" بحضارتها في المسيرة البشريّة على الأرض. أولئك الذين يصرّون على أنّ الأمة لا زالت حية، إنما يخلطون بين بقايا مفهومها القائم لا يبرَح في نفوس أفرادها، كما نرى من نصرة المصريين للشعب الفلسطيني، وبين تحقق وجود هذه الأمة على أرض الواقع.

مقومات الأمة لا تزال موجودة على الأرض، ولكنها كأشلاء الطير الذي وزعه إبراهيم عليه السلام، فجعل على كل جبلٍ منها جزءاً. ونحن الآن نريد أن يعين الله سبحانه بأن يبعث هذه الأشلاء فتكون "أمة" كما كانت طيراً من قبل. وهي من ثم عملية إحياءٍ كإحياء الطير، لا صحوة كصحوةِ أهل الكهف، الذين لم يفقدوا تكاملهم ولا تمزقت رؤيتهم في يومٍ من الأيام، إنما كانت غفوة، طالت ما شاء الله لها أن تطول.

وقد كان من الضروريّ، في مقدمة هذه المَجلة المباركة إن شاء الله، أن نحرّر هذا المُصطلح، إذ تحرير المُصطلحات هو باب الإتفاق وغربال الإختلاف. وما اختلف كثير من الناس إلا نتيجة عدم وضوحِ المَقصود مما يردّدونه أنفسهم ليلاً ونهاراً.

أما وقد حرّرنا، ما أمكن، هذا المصطلح، وبيّنا ما نقصد به، دون تشويش المشوّشين، فإننا نقرر أن عملية الإحياء ليست سهلةٌ ولا قريبة المتناول. إنما تستلزم هذه العملية الكثير من الرؤية والمنهجية، ووضوح الهدف، والعَزم الماضي، وتكريس الأوقات ثم والصبر على البلاء. إحياء الأمة يعني إعادة بيان دور مفهوم التوحيد في حياتها، فكراً، وتطبيق هذا المفهوم عملاً، على السواء. يجب على أفراد الأمة أن يفقهوا ضرورة أن تعود "الأمة" إلى الحياة، ترفرف بجناحيها على أرض الإسلام، ففي هذا، وفي هذا وحده، النجاة في الدنيا والآخرة.

لا تكن كصاحب الحوت ..؟!

د/ محمد محمد بدري

قال له صاحبه – وهو يحاوره – لماذا تقف في وجه التيار ؟ لماذا تواجه كل القوي وحدك ؟ .. إن من يرافقون دربك لم يبلغوا درجة من الوعي ليدركوا ماذا تريد .. وربما إن أدركوا لم يعاونوك ؟! .. إن من تواجه من أعداء يملكون أجهزة مدربة ، وعملاء كثيرين ؟ .. إنهم قادرون علي تحويلك إلي خائن في أعين من تريد لهم الخروج من عبوديتهم ؟! .. بل إنهم ربما اختاروا أن تكون نهايتك هي الموت !! .. إنني لم أعد أفهمك .. هل تريد أن تموت ؟

قال له صاحبه : إنني أدرك كل ما أخبرتني .. وأقدر حرصك علي خيري ونجاتي .. لست أريد الموت .. أؤكد لك ذلك ، بل إني أدعو ربي دائماً أن يستعملني في سبيله حياً وميتاً ، وأعلم أن ديني يحتاجني حياً ؛ ولذلك فأنا أريد أن أحيا .. . أريد ان أحيا حياة طويلة . فلم أتم إلا القليل من الواجبات التى أرجو أن أوفق إلى النهوض بها .

ولكني ـ يا أخي ـ أري أ ن أكثرنا قد تحول إلي شيطان أخرس ، وأري أن الهروب من المواجهة هو الموت ..! .. فأنت إما أن تطلب الموت فتدركه وانت تريد ، وإما أن تغفل عنه ؛ فيدركك وأنت حينها لا تريد !!

قال له صاحبه : إنك تحدثني عن أمور في بطون الكتب .. إنك يا صاح تضيّع وقتي ووقتك في أفكار لا وجود لها إلا في القصائد الحماسية ؟! .. إنني لا أشعر أني أمتلك ما يمكن أن أوجه هذا الواقع ؛ فحثني أنت عما تقصد وتريد ، واخبرني ماذا أقدر عليه ؟!

قال له صاحبه : أنا أعذرك في هجومك علي كلماتي ، فأنت تري ما يجب أن يتغير ، وما يجب أن يصحح ، وتري الجميع غير مبالين لا يفعلون شيئاً ؛ فتراودك نفسك : وماذا أستطيع أن أفعل وحدي .. هل عليّ أن أفعل أنا كل شيء ؟ .. إن كل عمل " قدرة " و " إرادة " .. فإذا امتلكت أنا " إرادة " التغيير ، فهل لديّ " القدرة " علي القيام بذلك ؟

قال له صاحبه : نعم .. ليس لديّ القدرة ، فأعدائي كثير .. وليس لي القدرة لمواجهتهم .. ولن أسلم منهم إن حاولت مواجهتهم ، ولا بد أن أسكت لأسلم .!!

ورد عليه صاحبه : حين نركن إلي طلب السلامة فإننا نعتزل الحياة .. ومن ثم فإننا في الحقيقة نكون قد وصلنا إلي الموت .. فكلما خاف الإنسان الموت ؛ ضاعت حياته ..

يا رفيقي الطيب ؛ هل تدرك أن الله قد اختارك لمهمة التغيير ، وحمّلك رسالة التحرير للإنسان كل الإنسان في الأرض كل الأرض ؟! .. فلماذا لا تجعل من شعورك بالوحدة تطلعاً إلي التواصل مع الآخرين ، وإدراكاً لحاجة العالم إليك ؟!

قال له صاحبه وهو يحاول : نعم .. ولكن ، من أين أبدأ ؟ .. وكيف أبدأ ؟ .. كيف أحارب مفاهيم ترسخت في نفوس الجميع ؟..كيف أجتث شجرة كبيرة من المفاهيم الخاطئة قد مدت جذورها في أعماق نفوسهم ؟ ! !

وماذا سأقول لمن أحاول تغييرهم ؟ .. ومن سيؤمن منهم ؟ .. ولو آمن منهم أفراد ، فماذا يستطيعون أن يفعلوا ؟!

قال له صاحبه : هل تري أن الهروب من المواجهة هو الحل ؟ .

قال له صاحبه وهو يهمهم : والله .. ما أدري .. إن الهم يأكلني لأجل ما أري ، وقلبي يحترق لما أعاني .. ولكن ، ماذا أستطيع أن أفعل ؟ .. ماذا أمتلك لمواجهة هذا الواقع ؟ .. إنه أمر فوق الطاقة .. بل إنه أمر مستحيل .. ما باليد حيلة .. ! !

قال له صاحبه : أمر فوق الطاقة .. مستحيل .. ما باليد حيلة .. هنا تكمن المشكلة .. إنك حين تؤمن أن الأمر خارج قدرتك ؛ تكف عن المحاولة ، وتهرب من تحمل مسؤوليتك ، وتهرب من مواجهة واقعك .. ! !

ولكن الهروب من المواجهة لا يعني أن المواجهة لن تحدث .. إن الأوضاع الخاطئة إن لم تواجهها ، فإنها لن تكف عن مواجهتك .. بل إن ما هربت منه سيطاردك وسيحاصرك وقد تقوّي بهروبك أكثر ! ! وعندها سيقدر علي الإيقاع بك ..

قال له صاحبه : ليس لي أمل في هذه الحياة ..اليأس يلف كل شيء حولي ! !

قال له صاحبه وهو يربط علي كتفه : إن الطريق من اليأس إلي الأمل يبدأ من هنا .. من تغيير المفاهيم التي سارت بنا خطوات اليأس .. ومن هذه المفاهيم أن نقنع أنفسنا أنه ليس بوسع واحد من الناس مهما أوتيّ من قوة أن يقوم بالتغيير ، وننسي أنه بإمكان واحد من الناس أن يفعل الكثير ، وأن هناك دائماً ما يمكن عمله .. فلا شيء يولد مكتملاً .. وإنما يولد عبر زمان حمل ومخاض وولادة ومعاناة ورعاية ، بل وصراع وتطور مطرد ..

فإن فاتنا قطار اليوم ، فلابد أن نسابق للحاق بالقطار التالي ، وأن نحرص كل الحرص ألا نتباطأ ، وإلا اضطررنا لا نتظار القطار الذي يليه .

إن البديل لمستقبل مظلم هو إعادة إنتاج الحاضر ، أن يبقي الأمل مستمراً مهما كان الحاضر سيئاً ..

قال له صاحبه : هل تريد أن تقنعني أن هناك نقطة ضوء أمام كل هذه الإحباطات والهزائم التي نعانيها ؟

قال له صاحبه : نعم هناك نقاط ضوء ، وليس نقطة واحدة .. فعندما ينغلق أحد الطرق الموصلة للهدف ؛ تنفتح طرق أخري .. وأولوا الألباب هم الذين يجدون عندها ما يمكن عمله ..

إذا كنت أنت رجل واحد تؤمن بالمفاهيم الصحيحة ، وكل من حولك تستقر في أنفسهم المفاهيم الخاطئة ؛ فاعلم أن نجاتك لا تأتي دون جهد ، بل لا بد من مواجهة تلك المفاهيم ، فاقبض علي جمرة المواجهة بقوة ، لأن هذه الجمرة إن حرقت كفك اليوم فهي تصنع لك سفينة النجاة غداً ..

أخي ورفيق دربي ..

من ذروة الياس يبزغ النور حين نتعلم أن التغيير ممكن.. وأن باستطاعة رجل واحد أن يفعل الكثير ..

إن اليأس موت .. وحين يسكن اليأس نفس إنسان ؛ فإنه يدخل القبر برجليه ، ويهيل الترب عليه بيديه .. فلا تمت ـ أخي ـ قبل أن تموت .. ولا تكن كصاحب الحوت .

آداب يتحلى بها الداعية والباحث(الحلقة الأولى)

للشيخ عبد المجيد الشاذلي

أول ما يتحلى به الداعية إلى الله هو التعبير المهذب وألا يتناول مخالفه في الرأي بالتجهيل والتسفيه والتنقص أو التهكم والاستخفاف... وإنما المعالجة العلمية الموضوعية.. وإذا أصابه شيء من ذلك فلا يقابله بالمثل؛ وإنما يدفع بالتي هي أحسن، ولا يسمح للطرف الآخر أن يستدرجه إلى المهاترات ويخرجه عن سمته وهديه، يقول ربنا عز وجل:((ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ [النحل : 125] (((1)، (ولَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ [فصلت (2) ، هذا مع ثباته على الحق وألا يخشى فيه لومة لائم، وألا يجامل فيه أحدا: { وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ} (القلم:9))(3)، وأن يعرف للناس أقدارهم وينزلهم منازلهم.. يقول الإمام الشاطبي في "الموافقات" وكذلك في "الاعتصام" نقلًا عن الإمام الغزالي: «أكثر الجهالات إنما رسخت في قلوب العوام بتعصب جماعة من جهال أهل الحق، أظهروا الحق في معرض التحدي والإدلال. ونظروا إلى ضعفاء الخصوم بعين التحقير والازدراء فثارت من بواطنهم دواعي المعاندة والمخالفة، ورسخت في قلوبهم الاعتقادات الباطلة، وتعذر على العلماء المتلطفين محوها مع ظهور فسادها»(4).

2-ترك المراء والتزام البيان لمن يقدر عليه:

يقول رسول الله صلي الله عليه وسلم: «أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقًا، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحًا، وببيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه»(5)، والأحاديث في ذلك كثيرة.

يقول الإمام الشاطبي في "الاعتصام" في صفة أهل البدع والأهواء:

»أما الخاصية الثانية فراجعة إلى العلماء الراسخين في العلم؛ لأن معرفة المحكم والمتشابه راجع إليهم فهم يعرفونها ويعرفون أهلها. ولكن له علاقة ظاهرة أيضًا نبه عليها الحديث(6) الذي فسرت به الآية قال فيه: «فإذا رأيتم الذين يجادلون فيه فهم الذين عنى الله فاحذروهم»، فجعل من شأن المتبع للمتشابه أن يجادل فيه ويقيم النزاع على الإيمان، وسبب ذلك أن الزائغ المتبع لما تشابه من الدليل لا يزال في ريب وشك؛ إذ المتشابه لا يعطي بيانًا شافيًا، ولا يقف منه متبعه على حقيقة. فاتباع الهوى يلجئه إلى التمسك به، والنظر فيه لا يتخلص له، فهو على شك أبدًا. وبذلك يفارق الراسخ في العلم، لأن جداله إن افتقر إليه فهو في مواقع الإشكال العارض طلبًا لإزالتها، فسرعان ما يزول إذا بين له موضع النظر، وأما ذو الزيغ فإن هواه لا يخليه إلى طرح المتشابه، فلا يزال في جدال عليه وطلب

لتأويله، ويدل على ذلك أن الآية نزلت في شأن نصارى نجران وقصدهم أن يناظروا رسول الله صلي الله عليه وسلم في عيسى ابن مريم عليه السلام مستدلين بأمور متشابهات من قوله "فعلنا " و"خلقنا " وهذا كلام الجماعة، ومن أنه يبريء الأكمه والأبرص ويحيي الموتى. ولم ينظروا إلى أصله ونشأته بعد أن لم يكن، وكونه كسائر بني آدم يأكل ويشرب وتلحقه الآفات والأمراض والحاصل أنهم إنما أتوا المناظرة لا يقصدون اتباع الحق، والجدال على هذا الوجه لا ينقطع، ولذلك لما بين لهم الحق ولم يرجعوا إليه دعوا إلى أمر آخر خافوا منه الهلكة فكفوا عنه وهو المباهلة وهو قوله تعالى((فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ)) (آل عمران: 61))(7)، وشأن هذا الجدال أنه شاغل عن ذكر الله ـ من غير فائدة ـ كالنرد وغيره»(8).

ما ذكره الشاطبي واقع ومشاهد؛ فإن المحاجة وإقامة الأدلة لها طرق ومسارات تصل بصاحبها إلى الحق، وتكشف وجه المسألة من أقرب طريق. فإذا تجاوز الحوار هذا الحد خرج إلى حكايات وأمثلة وأرأيتيات وتفريعات لا تنضبط بقواعد محكمة، ولا يحدها تسلسل منطقي في الاستدلال يصل بها إلى قرار. فتدور المحاورات في حلقات مفرغة، وتتفرع إلى مضايق ومنزلقات ومتاهات يتمزق معها الموضوع . والسبب هو ترك الأمور المحكمة إلى متشابهات الأدلة وما ليس من الأدلة أيضًا، وهذا أمر لا يمكن أن يفضي إلى يقين.

وعلى النقيض من ذلك ما حكاه الشاطبي عن طائفة أخرى من أهل البدع، وهم أهل البدع العملية، من هربهم من المناظرة في حجية ما هم عليه يقول: «على أن أرباب البدع العملية أكثرهم لا يحبون أن يناظروا أحدًا.... فيما يفعلون خوفًا من الفضيحة ألا يجدوا مستندًا شرعيًا»(9)، إلى آخر كلامه .

وهذا المسلك أيضًا واقع ومشاهد؛ فكثير من الناس عندما تسأله عن حجته في أمر يقوله أو يفعله يقول لك نهينا عن الجدل.. وهذه أمور وجدانية ترجع إلى الذوق.. واستفت قلبك.. وما إلى ذلك. وهذان الطرفان ينبغي ألا يسلكهما الداعي إلى الله بل عليه أن يبين للناس حجة ما يقول ويفعل وما هو عليه من أمور دعوته بالدليل والبرهان وبالطرق السليمة للاستدلال بعيدًا عن الخصومات الجدلية التي غالبًا ما تقوم على المغالبات والمغالطات، وإذا حققتها بالأسلوب العلمي بهدوء وتحقيق وجدتها مليئة بالثغرات. فإذا لم يكن من أهل الاستدلال أحالهم على ما يستبينون به الحق من كتب أو رسائل أو إلى من يقدر على البيان. فإذا ما انتهت الاستدلالات وتبينت أوجه النظر في الموضوع، انتهى الحوار، لأن الاستمرار فيه بعد ذلك جدل ومراء نهينا عنه شرعًا.

يتبع إن شاء الله

الهوامش-:

(1)سورة النحل، الآية: 125.

(2)سورة فصلت، الآية: 34.

(3)سورة القلم، الآية: 9.

(4)الإعتصام، جـ2، ص23.

(5)سنن أبي داوود، كتاب الأدب. قال الألبانى: حديث حسن.

(6)جاء في مسند الإمام أحمد عن عائشة رضي الله عنها: تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية: {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ} (آل عمران: 7) الآية، « فإذا رأيتم الذين يجادلون فيه فهم الذين عنى الله عز وجل، فاحذروهم»، قال الأرنؤوط: حديث صحيح.

(7)سورة آل عمران، الآية: 61 .

(8)الاعتصام، جـ2، ص236-237.

(9)المصدر السابق، جـ2، ص151

أبوة الدعوة التربوية

أستاذ/ماجد رسلان

مجلة الرائد عدد129 صفر 1411هـ–أغسطس 199م.

حرصاً على سلامة الدعوة والداعية ،وحفاظاً على التصورات السليمة أن تُثلم ،وصوناً لإرث السابقين أن يبيد ..لابد من مكاشفة ومصارحة وتذكير وذكرى بين كل فينة وأخرى.

والذكرى موجهةُ لكل الأحبة المؤمنين في حقل الدعوة إلي الله ،سواء أكانوا قادة مربين أم غير ذلك ،فالله لم يحدد هُويّة المُذكَّر ولا هوية المُذكَّرين حين قال جل وعلا:**وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ} (الذاريات:55).

وأهم قضية تشغل العقل والقلب والروح هي :

ما هيّة العلاقة بين أجيال الدعوة السابقين واللاحقين كافة ،أي:ما بين المربّي والمتربي،أو بين الأستاذ وتلميذه،أو بين القائد والجندي.

وكما يقال :"لكل زمان دولة ورجال"!!

لكن الملامح لكليهما لا تتحدد إلا من خلال الظروف المتغيرة والتطورات المتلاحقة ومن خلال زخم الإمكانات والخبرات ،وتلاحم الطاقات وتلاقي الإبداعات ...ومع ذلك يبقى للسابق فضل السبق بوجوده الزمني ،واقتحامه مجاهل الحياة لاكتشاف سننها وفضّ ألغازها ..على هدى مقتضيات الخلافة الراشدة {ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ} (الجمعة:4).

وصحيح أن اللاحق ربما يبدع ويطوّر بعض وسائل الحياة ،بل ربما تصل بعض قفزاته التغييرية حداً إعجازياً قياساً بما كان عليه السابق،لكن لا يستطيع أحد منصف للحق نكرانَ فضل السابق بما وضعه من بذور الخير التي نمت مع الزمن وأصبحت بفضل اللاحق –بل ربما بفضلهما معاً–دوحة غنّاء يستظل بها الجميع على حد سواء.

وبعيداً عن السفسطات والمُماحكات الجدلية..فإن العلاقة ما بين المربي ومن يربيه لا يستطيع أحد عنده نَصَفَةُ من عدل أن يغفل ما للأول من فضل السبق بالوجود الزمني ،واكتشاف طريق الدعوة اللاحب،واستخلاص العبر ،واقتناص الخبرات وتأثيلها[1]،والحصول على التجارب القيّمة وتأصيلها،والقيام بمسح للإمكانات ودراسة للطاقات على كل المستويات ..وهذه المحصلة –التي ما نمت إلا على عرق ودموع،وجهود مضنيات –حملها للثاني زاداً سائغاً وريّاً عذباً ليتابع بهمة متوقدة وعثاء الطريق الذي حُفت جنباته بالمكاره من الغرائب والمجاهيل ..فلولاه لما كان له أن يتعرف على الأفكار والمبادئ والقيم ..ويتذوقها ويستشعرها لو ظلت حبيسة خلف سياج

التجريد والوصف الكلامي ..لكن بفضله ومن خلاله رآها قد انتفضت حيّةً ناطقة بأحلى بيان وأعذب كلام !!

ونود أن نتنبه إلى تميز العلاقة ما بين المربي القدوة والمتربي ،عن العلاقة ما بين الثاني ووالديه،حيث نرى في أكثر الأحايين أن ليس كل أب ينظر إلى ابنه بمنظار الدين والدنيا،أو بمنظار الروح والمادة،أو بمنظار العقل للقلب !!بل على الغالب –وفي معظم الأنحاء والأحوال–نرى أن الأهل لا يهتمون بتحصيل أولادهم للعلم والمعرفة،والفكر والثقافة..إلا للحصول على الشهادة والمنصب والجاه ليصيبوا حظاً من زهرة دنيا ،ونُتفاً من فتنتها..دون أي أعتبار لتدين رشيد ،أو خلق متين،أو سلوك نظيف..!!بينما نرى العلاقة بين المربي وتلميذه متميزة وأصيلة ومتكاملة مع سنة الدين والدنيا يحرص فيها الأول للثاني أن يحصَّل كل ما يتمناه له أهله وأكثر مع تحليه بأخلاق فاضلة ،وسلوكيات شريفة ..أرفع منازل الأُحدوثة الحسنة عند الله والناس !!فهو دائم الرعاية له ،والعنابة به على مختلف الأحوال والظروف ،مشغول بتربيته الفكرية ،ومنهمك بتربيته الروحية والنفسية ،ومتابع لنموه العلمي وحياته المادية ..ومع مرور الزمن تتوثق العلاقة بينهما وتسمو وتغدو أقدس وأنبل وأصدق علاقة بين عبدين صالحين دانا بإسلام القلب والوجه لله رب العالمين ،فالمربي دائم التمني أن تكتحل عيناه برؤية تلميذه –بل قلت إن شئت بولده –وقد سبقه وتجاوزه في شتى مجالات الدين والدنيا بدرجات ودرجات ،وإن حصل المأمول وتحققت الأماني فهو فخور نشوان حيث شاهد جهوده وأعماله أصبحت دانية القطوف والعطاء ..وكله رجاء أن يتقبل الله صنيعه هذا بقبول حسن فهو لا يبتغي من أحد جزاءً ولا شكورا..هذا ما تحمله أحاسيس المربي وهمومه .

فما هو المفترض أن تكون أحاسيس ومشاعر ومواقف التلميذ تجاه أستاذه ومربيه على المستوى الأدبي والأخلاقي بُلْهُ على المستوى العقدي الإيماني ؟!

هل يتذكر للماضي ويَكُعُّ لشهوات النفس الخفية ،لأنه أصبح لملء العين مشاراً إليه بالبنان ،والأحاديث عنه جارية على كل لسان ؟!

أم هل ينسى أنه كان منذ وقت قريب يحبو ويكبو ويتعثر ..فيرى يداً حانية تمسح جراحه ،وتسدد خطاه ،ويرى نفسهاً كريمة تنفخ فيه روح الثبات والمثابرة وتبعث فيه الملل من جديد حيث تفتح له كُوَّة ضياء وسط ضباب ودخان ؟!

أم هل ينسى الماضي لمجرد أنه شبَّ عن الطوق وأبدع في فن ،أو طوَّر في عمل أو اكتشف نظرية ،أو حل مُعضلة من معضلات الحياة العويصة ،أو أو!

إن من حق الدعوة علينا أن نُذّكر بأن العلاقة مع الدعة السابقين لابد أن تكون علاقة أبوة كريمة أعطت ومنحت وما بخلت ..تقابلها علاقة بُنّوة تربوية كريمة وشكرت وأثنت وما جحدت ..علاقة لها احترام بار كاحترام الوالدين في قدسية مميزة من التعامل الحساس الذكي النبيه ..النائي عن التجريح أو التشويه...

فليس من تزجية القول ولا من فضول التربية والتوجيه ما قرره الكتاب الخالد عن ما هيّة العلاقة ومضمونها مع من نتعلمُ منهم ونستفيد..حين قصَّ الله علينا حادثة موسى عليه السلام مع العبد الصالح ،وكيف كان كليمُ الله معه متأدباً ولجناح التواضع خافضاً،وكيف وكّن نفسه على السمع والطاعة والتحمل بصبر جميل...

قال تعالى **فَوَجَدَا عَبْداً مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً*قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً*قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً*وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْراً*قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِراً وَلا أَعْصِي لَكَ أَمْراً}[الكهف :65-69].

ولابد من التخلي عن الأحاديث المتورمة بالغرور الشيطاني التي نفخ فيها كل سمومه ووساوسه وأرجاسه الخبيثة ..لأنها مرض عضال سرطاني،والرسول صلى الله عليه وسلم يقول(أكثر خطايا ابن آدم من كَلْم لسانه)[2]،وما أصدق المثل العربي الذي يقول :"كَلْمُ اللسان من كَلْمِ السِّنان".

ولابد من التخلص من نغمات النشاز الكنودة التي تعزف على أوتار ،لابدمن تجاوز هؤلاء فدورهم انتهى،وعطاؤهم نفد ،وعودهم يبس ،والدهر أكل عليهم وشرب ،فالزمن تغير ،والظروف تحولت ،والأحوال تبدلت،والمرحلة الجديدة تلزمها قيادة فتية وليدة..وما إلى ذلك من عبارات براقة منمقة.

ولابد أن نذكر بقضية الأفكار والمبادئ وبمشكلة الأسبقية على الأشخاص أو عدم الأسبقية ،وأن نلقي الضوء على هذه القضية التي كثرت الدندنة حولها دون طائل ،فنقول:

إن الأفكار والمبادئ والقيم والأخلاق..ليس لها حضور ،وليس لحضورها وجود إلا من خلال الالتزام بها والتطبيق لها قولاً وعملاً،وسلوكاً وخلقاً في الحِلّ والترحال والسّراء والضّراء على السواء ،فمثلاً :الصدق ،والأمانة ،والاستقامة،والإخلاص ،والزهد ،صواب الرأي ،وسداد التفكير ،وسلامة التوجيه،والإقدام والإحجام ،والرؤية السياسية ،والولاء والبراء ..وكل ما يخطر وما لا يخطر بالبال من أمثالها.

إننا لن نتذوق أي واحدة منها،طعمها وحضورها ،إلا حين تتمثل من خلال داعيةٍ مُربّ ،فاضل وكريم ..أثّر فينا موقفه ،وحرّكَ منا سلوكه كوامن حياتنا وحياة دعوتنا بفضل استقامته وصدقه ونبله وإخلاصه..وبفضل توفيق الله له ورعايته وتسديده..

فالدعوة بأفكارها ومبادئها وقيمها وأصالتها ..يتألق جمالها بالداعية وتَدُبُّ فيها روح الحياة من خلال تدرّعه هو –من الأخمص إلى المفرق –بالتزام سام بها حيث يكون لها ترجماناً،ويكون مضمون المنهج الإلهي هو الحكم على حياته كلها ظاهراً وباطناً في كل الأحوال والظروف ..

فهو يكره التزييف والتمييع ،ويمقت النفاق والمداجاة ،ويعاف الدَّهَان والمماراة ..لأن جهاز المراقبة الذاتية قائم في نفسه وأحاسيسه،مركوز في فؤاده وعقله ،مسيطر على ضميره وكل شؤون حياته وحياة دعوته .

إنه يحس إحساساً غير عادي بأن عين الله ترقبه وتلحظه ،وأن الميزان الذي يُقَوّم به لا يستقيم بالمحاباة ،ولا يصلح بالتعسف ..

قال تعالي:**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ } (النساء:135)

** يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى }(المائدة:8).

لذا فالفكر والعقل والقلب والروح لهم ميزان خاص في الدعوة إلي الله لا يعرفه إلا المتقون أولو الفراسة المبصرة الذين أدركوا حقيقة وكيفية الحياة في ظلال الإسلام العظيم ،وحقيقة وكيفية التعامل مع أبنائه البررة في بر وإحسان ..من أجل تجسيده معاً واقعاً حياً أصيلاً..كما كانت العصبة المؤمنة الأولي بقيادة محمد بن عبد الله –صلوات الله وسلامه عليه–،حيث قال الله فيهم **مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً } (الفتح:29)

وفي الختام لا يسعني إلا أن أقول :إنني لم آلو نُصحاً ولم أدخر وسعاً في المكاشفة والمصارحة ،كما لا يسعني إلا أن أردد بحماس بالغ المثل العربي الذي يقول :"تَرَكَ الخِداعَ مَنْ كَشَفَ القِنَاعَ".

والله ولي التوفيق وهو وراء القصد .

[1]–أثَّل الله مالهُ أي : كثرَّه وقد أثِل فلانٌ تأثيلاً إذا كَثُرَ ماله

[2] –أخرجه البيهقي في "شعب الإيمان" والطبراني في "الكبير "وقال الألباني في "صحيح الجامع الصغير":حسن.

الأسرة المسلمة

الفتاة العربية في الواقع الصعب

إعداد / سمية محمد بدري

الحكاية تبدأ من أول صرخة لأن رد الفعل على مشهد اكتشاف جنسها يتراوح بين الامتعاض وعدم المانعة، بين " إنجاب البنات نعمة " !! و " كل اللي يجيبه ربنا كويس "، وتصبح هذه هي خطيئتها الأولي!! خطيئة لم تذنب فيها، وإنما هي الذنب نفسه!!

تنشأ الفتاة بشعور الضحية – ولكل قاعدة استثناءات– فتعيش بين أجواء تتراوح بين طقوس الاعتقال بدعوى" الحماية" أو تعازي إعطاء" الحرية "تحت عنوان" المساواة "، ووسط ثنائية مغلوطة كهذه حماية/حرية تضيع الـ "حاء" الأهم، والـ "دال" الأخطر، ويتبين بعد مدة أنها كانت تحتاج أكثر إلى"حنان" و " دعم".

كانت تحتاج منذ بداية حياتها إلى لون خاص من الدعم المعنوى يشيد بنجاحاتها الصغيرة ويتجنب النقد المستمر، واللوم المتكرر لها

كل هذه الأوضاع قد تضاعف من روح التحدي عند الفتاة فتندفع كالإعصار تسعى لإثبات ذاتها وجدارتها بالإنسانية فتتفوق دراسيا، وتتميز اجتماعيا، ولا تترك فرصة إلا وأظهرت فيها أن للنساء طاقات ومهارات وقوة تصميم لا تعرف الوهن، ولو ارتدت منديلا من قطن، أو قفازا من حرير!!!

وأمام كل فتاة يتجدد سؤال الاختيار كل يوم بل كل لحظة: هل تكون وفية للتحدي ولمسئولية جدارتها بوجودها المستقل، ومسئوليتها أمام ربها أم تكون مثل الظن الغالب بها هشة وتافهة وفريسة سهلة لكل صياد ينصب لها فخا بكلمة معسولة أو حنان ملغوم هل تكون مجرد نتيجة للتهميش والإهمال أو التحرر الأجوف بدعوى المساواة أم تكون مفاجأة حين تكون" أمة"، والأمة من الأم!!!

هل هي مخلوق ناقص لا يكتمل ولا يتحقق إلا في كنف رجل أم أنها تحتاج للرجل كما يحتاجها طرفا مشاركا ينسج معادلة الحياة، ويعزز لحن الوجود في الحقل والمدرسة كما في البيت وميدان القتال؟! هل تمثل في مسيرتها نحو المستقبل سيرة الغواني المائلات المميلات اللامعات ببريق زائف قد يغري الأبصار، ولكن الداخل مثل البيت الخرب مظلم وكئيب، وكابوس ضائع ؟!!

أم تتمثل نماذج الماجدات من الجدات اللاتي حملن السيف والخنجر دفاعا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم رمز الدين، وهن يدركن أنه حين يشتد الوطيس، ويتعاظم التهديد فلا عرض لأحد ولا عذر لقاعد، وأنه في لحظة ما يكون حفظ الدين أهم من حفظ النفس لأنه لو ضاع الدين ستضيع الكرامة، وكل النفوس تصبح في خطر وحين تنظر الفتاة حولها ماذا ستلتقط؟! أية جريدة من عند البائع أو أية مجلة؟! أية ملابس سترتدي، وأي نمط سلوك ستختار؟! وحين ترغب بالزواج، على أي أساس، وبأي مقياس ستختار الطرف الآخر؟!!! وحين تقضي وقتها سمعا ومشاهدة، في الجد واللعب، في الثقافة والترويح، وفي البيت وخارجه ماذا ستختار؟!

وكيف ستمارس وهل ستكون قادرة على تجاوز ثنائية الضحية/ المجرمة إلى أفق إنساني أرحب لا تكون فيه ملاكا ولا شيطانا بل كائن فاعل قد يخطئ أحيانا، ولكنه ينشد الصواب أبدا، ويسعى إلى الكمال، ولو لم يبلغه؟! لأنه لله وحده؟!!

بين الشكل والمضمون

نعيش جميعا "عصر الشكل" وتتجه البشرية بدفع من رأس المال والفكر المادي إلى تغليب أهمية المظهر على الجوهر، والفتاة العربية وسط هذا العصر تكاد تنحبس في سؤال الشكل تحسبه الأخطر في تحديد المسار والمصير، وتنفق الفتاة العربية وقتا وجهدا هائلا " لتحسم الاختيار المصيري" وتتراوح الاختيارات بين النقاب الأسود وثوب يجر على الأرض يحاول اللحاق بعصر النبوة، ولو شكليا، وبين أزياء متنوعة زاهية أو قاتمة، كاسية أو عارية، ووصفات حمية تنحيف، وعناوين عيادات تجميل، ومرايا على جدران المنازل، وفي الحقائب، وهاجس يتصخم تحت ضغوط كثيرة يستبدل السؤال الأهم حول:

ماذا أنا؟! بالسؤال الشائع: كيف أبدو؟!

وتقع حواء الصغيرة – والكبيرة أيضا – في الفخ حين تستجيب للسؤال الخاطئ بغض النظر عن إجابتها عليه، وقد تكتشف أولا تكتشف أن المطلوب منها أمام الله أكثر وأعقد بكثير من لون القماش أو طول الخمار، أو حين تكتشف أن التحرر أبعد وأعمق من السفور أو تدخين النرجيلة

وقد تكتشف أو لا تكتشف أن الوجود الإنساني له تجليات متعددة غير كتلة اللحم والعظم، وغطاء الملابس، وقد تكتشف أو لا تكتشف أنها أضاعت أحلى سنين العمر، وذروة جهود وطاقة الشباب أم تلعب على أوتار المجتمع واهتماماته لعبة: التعري والإخفاء !

هل تستطيع الفتاه العربية تجاوز ثنائية الشكل/ المضمون لتصل إلى شكل معقول ومقبول تعبيرا عن محتوي متين ومبدع وفاعل ليكتمل وجودها الإنساني بدلا من تغليب التجلي الأنثوي، واعتبارات المظهر، والإنحباس في سؤال الجسد والزي؟!!!

ثنائية العناد والانقياد

وفي علاقتها بالرجل يغاب الشد والجذب، وينطرح سؤال آخر مكذوب وملغوم: هل تتحقق المرأة، وتقوم بدورها، وترضي ربها، أو تحقق ذاتها بتحدي الرجل ومدافعته، والخصم من رصيده، والصراع معه، أو بالانقياد له آمرا ومتحكما ومسئولا؟!

إن المرأة كيان له معالمه وخصائصه ومميزاته ونقاط ضعفه أيضا، مثل الرجل. وتخسر المرأة كثيرا حين تغادر ذاتها وعرشها ومدارها الذي تسبح فيه نجمة في سماء الكون لتصطدم بالرجل أو تقتحم مداره، وكأن الشمس أهم من القمر، أو الليل أجمل من النهار، والحقيقة أن" كل في فلك يسبحون"

وتبدو حواء العربية متناقضة ومضحكة من شر البلية حين تريد في حركة ذكاء خائبة – وإن كانت تنجح أحيانا – أن تربح مميزات النظامين معا. القوامة بمسئوليتها على النظام الإسلامي، والندية والمساواة على النمط الغربي وهذا التلفيق هو محاولة لتجاوز ثنائية العناد والانقياد، ولكنه فاشل عقيم، قصير العمر مثل كل تلفيق.

هل تستطيع الفتاة العربية أن تندفع بسرعة في مسارها هي دون الطواف المستمر حول كعبة الرجل رغبة في أن تكون مكانه، أو رهبة منه لا تنضج إلا بإشارة من عصاه: عصا السجان أو حتى عصا المايسترو؟! هل تستطيع أن تنتزع

حريتها، وتثبت وجودها بجهودها وإبداعها دون الحاجة إلى الشقلبات أو الممارسات على طريقة أن يقول الرجل: أنا موجود، فترد هي: وأنا أيضا؟!

هل تستطيع أن تضبط مسارها، وتحكم خطواتها، وترسم خططها دون رجل أحيانا، فإذا أقامت علاقة معه تواصلت وأغدقت وأعطت وأخذت، وتراجعت أحيانا أو تقدمت برشاقة وهدوء، ودون كثير ضجيج؟!! وأدارت وجودها حين تكون معه، وحين لا يكون أم ستظل مشدودة عنادا معه أو انقيادا له؟!!

بين فوبيا العنوسة وفوبيا الزواج

لقد فرضت الظروف المعيشية والتغييرات الاقتصادية خطراً من نوع خاص بات يلاحق البيوت العربية، مستهدفاً الشباب العربى من الجنسين.

فقد كشفت دراسة حديثة أن 35٪ من الفتيات فى كل من الكويت وقطر والبحرين والإمارات بلغن مرحلة العنوسة، وانخفضت هذه النسبة فى كل من السعودية وسلطنة عمان والمغرب، فى حين أنها لم تتجاوز فى كل من سورية ولبنان والأردن نسبة 5٪ وكانت فى أدنى مستوياتها فى فلسطين حيث مثلت الفتيات اللواتى فاتهن قطار الزواج 1٪، وكانت أعلى نسبة قد تحققت فى العراق إذ وصلت إلى 85٪.

وقد أوضحت الإحصائيات أن العنوسة لا تقتصر على النساء فقط فهناك نسبة كبيرة من الرجال يعانون من هذه الظاهرة، ففى سورية بينت الأرقام الرسمية أن أكثر من 5٪ من الشبان السوريين لم يتزوجوا بعد، بينما لم تتزوج 6٪ من الفتيات اللواتى تتراوح أعمارهن ما بين 25 و29 عاماً، وبلغت نسبة اللواتى تخطين 34 عاماً، دون زواج 2.37٪،وهو ما يعنى أن أكثر من نصف النساء غير متزوجات.

وفى لبنان، أكدت إحصائية أجرتها وزارة الشئون الاجتماعية والصحة اللبنانية أن نسبة الذكور غير المتزوجين ما بين 25 و3 سنة تبلغ 1.95٪ والإناث 83.2٪.

أما فى مصر فقد أكدت دراسة صادرة عن المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية أن نسبة غير المتزوجين من الشبان من الجنسين بلغت بشكل عام حوالى 3٪ وبالتحديد 29.7٪ للذكور و 28.4٪ للإناث.

وأشارت نتائج دراسة أردنية مماثلة إلى تأخر عمر الفتيات عند الزواج الأول إلى 29.2٪ ،بينما يتأخر إلى31.9 ٪ سنة لدى الذكور.

وفى الجزائر كشفت الأرقام الرسمية، التى أعلنها الديوان الجزائرى للاحصاء أن هناك أربعة ملايين فتاة لم يتزوجن بعد، على الرغم من تجاوزهن الرابعة والثلاثين، وأن عدد العزاب تخطى 18 مليونا من عدد السكان البالغ 3 مليون نسمة.

فوبيا الزواج تجتاح عقول بنات العشرين

لم يعد الرجل "سندها" كما كانت تؤكد لها جدتها ، فها هي ترى أختها المتزوجة تقاسي الأمرين بسبب زوجها ، وتشاهد أبيها يعنف أمها ، وإن لم يكن الوضع هذا ولا ذاك فهي لا تجد رجلاً يحترم إنسانيتها قبل عقلها ، لذا أصيبت بنت العشرين بـ "فوبيا" الزواج.

يوضح الدكتور أحمد فلاح العموش أستاذ علم الاجتماع، بجامعة الشارقة ، أن ظاهرة خوف الفتاة من الزواج شكلت "فوبيا" في مجتمعاتنا العربية في العقدين الماضيين، بسبب التحولات الاجتماعية الأسرية. وأرجع أسبابها إلى:

التكوين الفسيولوجي: حيث شكلت الفتاة في داخلها نمطية للفتاة المثالية المقبلة على الزواج، وذلك من خلال مظهرها وجمالها وهذه النمطية فرضها الإعلام والانترنت، وفقدانها احترام ذاتها يجعلها دائماً في حالة توتر وقلق وفي نهاية المطاف ينتهي بها الأمر إلى الانسحاب من المجتمع، إضافة إلى وجود بعض الإعاقات لدى الفتيات، فبعضهن يرين أن الزواج سيكشف هذه العيوب وسيدفع بحياتهن إلى التعاسة.

التكوين النفسي: تعيش الكثيرات في عزلة اجتماعية بسبب بعض الموروثات القديمة وقد يصل الأمر بها إلى محاولة الانتحار، فالعزلة تشكل مصدر خوف من الزواج،

التكوين الاجتماعي: وسلبياته مثل الزواج بالإكراه أو الزواج المبرمج الذي يضع الفتاة تحت خطورة الخوف من الزواج.

خوف الفتاة من الشباب المتهور: تخشى الفتيات اليوم من الزواج لتهور الشباب وعدم جديتهم فهم يبحثون عن المتع الزائفة بعيداً عن العلاقة الجدية.

إنه لكي يأتي فارس الأحلام في موعده يجب على الفتاة العربية أن تقف أمام سخط المجتمع وتناقل أفكارهم النمطية التي لا تحررهم من عبودية التقاليد وحتمية الفشل. تفقد الفتاة الثقة في نفسها وينقضي من عمرها عشرون عاماً أو اقل عندها تبدأ تنتظر فارس الأحلام لينقذها من البيت الذي بدأ يراقب بندول الأيام يوماً وراء يوم يتحسس ساعة الزفاف.

والفتاة.. إما هي متزوجة لرجل ناضج يؤمن لها حياة ميسورة الحال مع فارق في الجيل والخبرات والنضوج الفكري والانفعالي والعقلي وإما لشابٍ في طور التكوين.. وفي تلك الحالتين الفتاة تعاني فراغاً من حلقة مفقودة بشكل إدراكي ولا إدراكي.

وفي خضم هذا المسرح الغزير بالتحركات الانفعالية المتموجة يبدأ هاجس فارس الأحلام يومض حلماً مشعشعاً في حياة المرأة من جديد. والسؤال الذي يطرح لماذا تغيرت شروط الفتيات العربيات في اختيار الزوج؟

هل يكمن السبب في تلك المتغيرات المجتمعية التي أصابت المجتمع العربي؟ الأمر الذي آل إلى تصاعد الحاجات المادية على المتطلبات الروحية التي تنشدها الفتاة في فارس أحلامها □

و سواء كان رفض الفتاة للزواج باختيارها ، أم لم تتزوج لظروف خارجة عن إرادتها ، فإنها في النهاية توضع في مصنف العوانس ، ولكن الدكتور محمد فكرى مدرس مساعد الطب النفسي بجامعة عين شمس، أكد أنه من الظلم أن يطلق على البنت المتأخرة في سن الزواج عانس ، ومن الظلم أن يطلق نفس اللقب على الرجل أيضاً ، فتأخر الزواج لا يعني نهاية المطاف بالإنسان ، وإنما يعني أنه لم يجد الشخص المناسب .

مشيراً إلى أن التروي في الاختيار أفضل مليون مرة من ارتباط خاطئ يكون الانفصال نتاجه أو الخوف من الانفصال بسبب نظرة مجتمعاتنا الشرقية إلى المطلقة ، ووسط هذه الظروف ينشأ الأطفال معقدين نفسياً .

فى النهاية نحب أن نؤكد :

أن العالم لا يشهد مشكلة للمرأة مستقلة عن مشكلة المجتمع ؛ فمشاكل المرأة ما هي إلا تجليات لمشاكل المجتمع وانعكاس صارخ لها ، وذلك لأن الضغط على أي شئ يظهر في أضعف نقاطه ، والجسد الإنساني يكون عرضة للمرض

في أضعف أجزائه والثوب يمزق منه أضعف ما فيه ، ولذلك فإنه إذا حدث ظلم اجتماعي أو ظلم على المجتمع فعادة ما يتم تفريغ هذا الظلم في أضعف النقاط الاجتماعية وهي عادة ما تكون المرأة والفقراء والضعفاء وأهل الذمة.

ومن ناحية ثانية فإن قضية المرأة هي قضية مجتمع لأن النسق الحضاري الإسلامي بكل علومه ومعارفه ينظر إلى الأسرة على اعتبار أنها الوحدة الأساسية للاجتماع الإنساني وليس الفرد كما في المنظور الغربي ، والنظر إلى الأسرة كوحدة أولى للمجتمع يجعل من حقوق أفرادها جزءا من كل وليست مستقلة في ذاتها ، ولذلك لا يمكن النظر إلى المرأة كمجرد كائن حي في فراغ فلا يوجد شيء اسمه المرأة أو الرجل هكذا ككائن بيولوجي يعيش في فراغ اجتماعي ثقافي وإنما هناك الأم والأخت والزوجة والابنة والجدة وهناك الأب والأخ والزوج والابن والجد. فكل إنسان له صفة اجتماعية بجانب صفته البيولوجية فهو أو هي امرأة أو رجل بيولوجيا ولكن هناك دور اجتماعي وصفة اجتماعية تجعل من ذلك الكائن البيولوجي أما وزوجة وابنة وأختا. ومن هنا لا يمكن النظر إلى قضية المرأة بمعزل عن وضعها وسياقها الاجتماعي وهو الأسرة. ولا يمكن حل هذه القضية أو تناولها دون الأخذ في الاعتبار المصالح المتبادلة والمتداخلة والمعتمدة بعضها على بعض للمرأة والرجل والأسرة.

ومن هنا فإن مشكلة المرأة ستبقى قائمة ما بقينا ننظر إليها على أساس أنها عنصر مستقل، ما لم نبحث عن حل ينسجم وباقي الحلول الاجتماعية، ولبيان هذا الأمر نقول: إن الكتب التي لم تتصور، ولم تصّور، المرأة على أساس أنها جزء من جوهر المجتمع تكون كمثل الذي يعالج اليد وكأنها ليست عضواً من أعضاء كيان واحد، إن سلامة اليد – وإن كان لها بعض الحاجات الخاصة بها، كتقليم الأظفار أو غير ذلك من الحاجات – تعود إلى ممارسات أسباب سلامة الجسد كله، فإن ضعف الجسد، أو ضعفت الصلة التي بينها وبين باقي الأعضاء، فإنها بدورها تهن وتضعف. لهذا فإن أردنا أن تنتصر المرأة في المعركة ضد الشعور المحبط بعدم تحقيقها لذاتها، فإن علينا أن نجابه الوضع على أساس نظرة شمولية، أي على أساس أنه أزمة مجتمع وليس أزمة عنصر أو جنس دون الآخر، ومن ثم فإن علينا أن ندرك الجانب الفكري والثقافي المتسلط على المجتمع عامة، ومن ثم متسلطاً عليها، وأن نعي ما أوضحه الشيخ "الغزالي" – رحمه الله – عندما قال: "إن التخلف النفسي والذهني لا تُصاب به الأمم بغتة، وإنما يجيء بعد أمراض تطول، ولا تجد من يُحسن مداواتها"

المراجع :

1- زهور الخريف .. الفتاة المسلمة بين الدور الرسالى والواقع الصعب .. لـ سمية محمد بدري – تحت الطبع.

2- حياة لا تغيب .. خواطر فى النفس والحياة .. لـ سمية محمد بدري – دار الصفوة

3- سيكولوجية المرأة العربية .. د/ خليل فاضل

4- شبكة محيط الإعلامية :

/http://www.moheet.com

5- كتابات مختلفة لـ : د / أحمد عبدالله.. أستاذ الطب النفسى – جامعة الزقازيق – مصر

الأســرة في الإســـــلام

محاضرة للأخت الشهيدة

بنان الطنطـاوي العطـار

في أوائل الســبعينات

(1)

الأسرة هي المجتمع الصغير الذي يتربى فيه الإنسان ، وينشأ من أول عهده بالحياة في أحضانه ، وينطبع بطباعه ، ويرى الأشياء بعينه ، ويتعرفها عن طريق أحكامه وميوله واتجاهاته ومالَهُ من إيحاء حين يستحسن ما يراه حسناً ، أو يستقبح ما يراه قبيحا .

ولذلك أدرك علماء الاجتماع أن البيت هو الينبوع الأول الذي يمدّ الأمة بالرجال والنساء ، وأنه إذا كان هذا الينبوع طيباً صافياً خالياً من الشوائب المفسدة كان إمداده خيراً على الأمة ، وزاداً لها من الأفراد الصالحين الطيبين الذي يصبحون في مجتمعها الأكبر لبنات قوة ، وحلقات تعاون ، ودعاة فضيلة ، ودعائم نظام ، ومصادر سعادة .. وإذا كان هذا الينبوع مشوباً بالشوائب ، قائماً على الفوضى والإهمال ، فإن إمداده يكون شرّاً على الأمة وخطراً على مقوماتها ، ونكداً ووبالاً على مجتمعها .

إنّ معنى الأسرة في العرف الاجتماعي الشائع هو المجموعة الصغيرة المكوّنة من الزوجين والأبناء . وأساس هذه الأسرة الزوجان المكونان من رجل وامرأة ، وهم اللذان يقومان بالدور الرئيسي الفعال في التكوين والتنظيم والرعاية من البداية إلى النهاية .

والمجتمع بعد ذلك هو مجموع هذه الأسر ، وهي لبناته التي يقوم عليها وينمو بها ، ويحصل له منها الامتداد الأفقي حتى يصير شعباً ، والرأسي حتى يظلّ تاريخاً لمن جاء بعده

فالأسرة إذن هي نواة المجتمع البشري ، وتقدر سعادة البشر في الأحوال العادية بالسعادة التي ترفرف على الأسرة ، والاستقرارُ العائلي دليل استقرار المجتمع ورقيّه

فالعناية بالأسرة ، والاهتمام بها ، وحياطتها بكل أسباب التكريم والتقويم له آثاره الكبيرة في المجتمع ، خصوصاً إذا كان المجتمع يعيش في مجمله في نفس الإطار الذي تنشأ فيه الأسرة بدون ازدواجية في الشخصية الاجتماعية ، وبدون تناقضات بين ما تتطلبه حياة الأسرة وبين ما يتفاعل في واقع المجتمع

وقد اهتم الإسلام اهتماماً كبيراً بشأن الأسرة وأسس تكوينها ، وأسباب دوام ترابطها ، وأدائها لوظيفتها على خير وجه وأكمله ، فما ترك القرآن والسنة صغيرة ولا كبيرة يكون فيها سعادة الأسرة واستقرارها إلاّ وبيّنها تفصيلاً ، أو بيّن الأصل الذي تندرج تحته هي ومثيلاتها

ولم يكتف الإسلام بتوضيح الحقوق والواجبات التي لكلٍّ حيال الآخر أو الآخرين ، فإن ذلك وحده بالنسبة لأخطر نواة في بناء المجتمع لا يكفي ، إنما اهتم القرآن والسنة بوضع الأسرة كلها في بوتقة تنصهر فيها الأثرة والأنانية وتذوب فيها صفات القهر والغلبة والقسوة ، حين تتبخر من حياتها ، وتصفى من شوائب الكدر والنكد ، والتعالي والتفاخر والإهمال والتباعد ، إلا ما كان لماماً ، ثم يعود الأمر إلى حاله السوي .

ولما كانت الأسرة تتألف أول ما تتألف من الرجل والمرأة ، كان على كلّ منهما أن يحسن اختيار الآخر ، الزوجية في الإسلام اجتماع سكن واستقرار ، ومودة ورحمة تذكرها الآية الكريمة :

{ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ... } [الروم : 21]

ويقول تعالى :

{ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ... } [الأعراف : 189]

فجُعلت في هاتين الآيتين غاية الزواج ، أن يسكن كلّ من الزوجين إلى الآخر ويطمئن ويستريح لوجوده .. ولا تكون حالة السكن هذه ، وحالة الاطمئنان والراحة في اجتماع أحد بآخر إلاّ إذا كان هنالك انسجام بينهما ، واقترب كل منهما نحو الآخر بمفاهيمه وسلوكه وطريقته في الحياة .

ثم إنّ مما يساعد على الاحتفاظ بالانسجام بين الزوجين وإدامته ، أن الحقوق والواجبات الزوجية متكافئة ومتعادلة بحسب طبيعة كل منهما . للزوج حقوق وواجبات ، وللزوجة حقوق وواجبات ، وكل واحد من هذه الحقوق والواجبات متكافئ ومتعادل مع الآخر ، ومعنى التكافؤ والتعادل هنا : أن الحياة الزوجية لتصل إلى غايتها وهي السكن والمودة والانسجام ، لا بد من إسهام الرجل والمرأة فيها سواء بسواء ، ولا بد من إفادة كل منهما معاً بهذه العلاقة ، لا يضارّ الرجل بالعلاقة الزوجية فيؤدي ما عليه دون مساهمة من المرأة فيها ، ولا تضارّ المرأة فتؤدي ما عليها دون مساهمة من الرجل فيها .

وهذا التكافؤ في الحقوق والواجبات هذا الذي تشير إليه الآيتان الكريمتان :

{ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ... } [النساء : 34]

وقوله تعالى : { ... وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ... } [البقرة :228]

والمراد بالتماثل في الحقوق والواجبات هو التكافؤ والتعادل بينهما ، وليس أن تكون كل حقوق الرجل وواجباته هي ذات حقوق المرأة وواجباتها ، فالرجل عليه الإنفاق مثلاً وعلى المرأة رعاية ولدها وتنشئته وحمله .. وهكذا . أما درجة التفضيل على النساء في الآية الثانية ، فنسبتها إلى الرجل لا تخرج دوره في الحياة الزوجية عن أن يكون مسهماً لتعادل هذه الحياة وانسجامها ، وهي كذلك ضرورة إنسانية لصالح الزوجية ، وليست مظهراً على حسابها وفي سبيل تقويضها .

ولقد عنيت سورة النساء بالحياة الزوجية عناية كبيرة من حيث حسن المعاشرة ، فأوجب الله معاشرة النساء بالمعروف وبيّن أن عاطفة الحبّ أو الكره ليستا دائماً أمارة على المستقبل السعيد أو الشقي ، وذلك قوله تعالى :

{ ... وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا } [النساء :19]

كما عنيت ببيان الأساس الذي يجب أن تقوم عليه حقوق كلّ من الرجال والنساء ، فبيّنت أن للرجل على المرأة حق الرياسة وواجب النفقة ، وعليها أن تطيعه وتحفظ غيبته ، ونقرأ في ذلك قوله تعالى :

{ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ ... } [النساء :32]

وقوله تعالى :

{ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ ... } [النساء :34]

وتتلخص الأحكام التي جاءت بها هذه الآيات :

1- على الرجل أن يعاشر زوجته بالمعروف

{ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوف }

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا ، وَخِيَارُكُمْ خِيَارُكُمْ لِنِسَائِهِمْ » رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح .

2- على المرأة أن تطيع زوجها ، وأن تحفظ كل ما أمر الله بحفظه في نفسها وبيت زوجها فقد جعلها الله أمينة على ذلك

{ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ }

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لَوْ كُنْتُ آمِرًا أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لأَحَدٍ لأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا » رواه الترمذي وقال حسن صحيح .

3- على الرجل والمرأة كليهما أن يرضخا لحكم الله في تهيئة كلّ منهما على الوضع المناسب للمقصود منه . فلا يتطلع النساء إلى ما خصّ الله به الرجال وجعلهم مفضلين فيه ولا يتطلع الرجال إلى ما خص الله به من النساء وجعلهن مفضلات فيه . وذلك في قوله تعالى :

{ وَلا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ }

وللمرأة دورها العظيم في المجتمع أيضاً كما للرجل دوره ، وإن تميّزت المواقف .

وإننا لنرى القرآن يصوّر كيف يتعاون الرجال والنساء في المجتمع المسلم على تحقيق الأهداف وبلوغ الغايات ، وكيف يسمو بالمرأة إلى آفاق كريمة في الدعوة إلى الخير ، ومحاربة الشرور ، لا أن تصير هي نفسها جانباً من شرور المجتمع ، كما هو الشأن في المجتمعات التي يشيع فيها الانحلال :

يقول الله عز وجل :

{ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ... } [التوبة : 71]

فالمرأة المسلمة مع الرجل المسلم تعيش لرسالة كبرى ، تأمر بالمعروف ، وتنهى عن المنكر ، وهي الرسالة الكبرى للمجتمع المسلم التي ميّزه الله بها ، وكلّفه أن يحملها في كل عصر .

{ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ... } [آل عمران : 11]

فإذا شاركت المرأة المسلمة الرجل المسلم في القيام بهذا العبء الجليل فقد صارت مسؤولة عن الأهداف العليا للمجتمع الذي تعيش فيه ، وصارت مطالبة بالاستعداد لتتمكن من حمل ذلك الواجب الثقيل

وقد أحست المرأة المسلمة بهذا العبء ورضيت بهذا التكليف في العصور الواعية في تاريخ الإسلام ، وخاصة في العصر الأول لمجتمع الإسلام لقد كان الجهاد في سبيل الله لتحقيق الحرية والأمن للمجتمع هو القضية الأولى التي شغلت المسلمين في المدينة ، ولم تَعفِ المرأة المسلمة نفسها من عناء الجهاد وثقل أعبائه ، فإذا هي تغشى الميادين ، تمد وتسقي وتضمد ، وأحياناً تباشر القتال وتقف في وجه الأعداء

ففي غزوة أحد كان للنساء المسلمات دورهن البارز في معاضدة المجاهدين والوقوف وراءهم ، وتعهد حاجاتهم أثناء الجهاد ، وكان لبعض المسلمات شرف القتال في هذه الغزوة

وكذلك كان الأمر في غزوات أخرى ، مثل الخندق وحنين وكان بعضهن يغشين مجالس الرسول ويردن أن يكلّفن بالجهاد كالرجال سواء بسواء

وقالت إحداهن : يا رسول الله ، ذهب الرجال بالأجر ! ! يقاتلون في سبيل الله ولا نقاتل ! !

وعجب الرسول صلوات الله عليه من هذه الروح المستبسلة وهذا الموقف الذي يكشف عن درجة سامقة من الإيمان والعلم هذا الإدراك الجديد للقيم التي أحلّها الإسلام في المجتمع العربي محلّ القيم المادية الجاهلية

وكشف لها النبي صلوات الله عليه عن الحقيقة التي يقرها الإسلام ، احتراماً لحفظ الفطرة وتطلباً لأمن المجتمع ، وهي أنه يرى أن القتال لا ينبغي أن يفرض على المرأة وهي رقيقة العاطفة ، مرهفة المشاعر ، وأنّ بحسبها أن تسدّ الثغور في الداخل ، وتحقق الطمأنينة والسعادة للمقاتلين بحسن تعهدها لزوجها وأبنائها ، وأنّ ذلك مساوٍ تماماً لمرتبة الجهاد ، فهو تحقيق للتوازن ، وتقسيم للأعباء ، حسب الطاقة والاستعداد ..

ويتضح من ذلك أنّ المجتمع المسلم لا يرى إعفاء المرأة من التفكير والبحث في أحوال مجتمعها ، بل هذا يلزمها أن تدرك أنها متضامنة مع الرجل في تحقيق غايات المجتمع والوصول إلى أهدافه

ولا يكون اهتمام المرأة بمشكلات المجتمع أو مشاركتها في علاج أمراضه ، بأن تزور مجالس الرجال ، متكشّفة فاتنة عاملة تطالب بالمساواة ..

إنّ مؤسسات التربية أو دور الحضانة لتعجز تماماً أن تصل في التوجيه والتربية إلى المستوى الذي تصل إليه الأم الصالحة بفطرتها وعاطفتها

وإن المجتمع المسلم صادق كل الصدق حين يبصّر المرأة أن ميدانها الرحيب الذي يشكر فيه جهادها ، ويقدّر بذلها هو ميدان الزوج والولد أولاً وقبل كل شيء ، حيث تسهم حقاً في تكوين المجتمع المستقر المتوازن الذي لا يختلّ فيه بناء ، ولا ترجح كفّة على حساب أخرى ..

لقد صدق رسول الله صلوات الله عليه حين أجاب المرأة المسلمة المتحمسة للجهاد . بأن حسن قيامها بواجبها تجاه أسرتها يعدل درجة الجهاد في سبيل الله

ولئن كان انضمام النساء إلى صفوف المقاتلين يزيدهم بضعة آلاف في العدد ، إلاّ أن قاعدة المجتمع ، بل قلبه وروحه ستصاب بالوهن والخسران حين يفقد المجتمع الأمّ الحنون ، والزوجة الصالحة .

من المراجع التي استفدت منها واقتبست :

(القرآن الكريم)–(صحيح البخاري)–(صحيح مسلم)–(رياض الصالحين)–(سيرة ابن هشام)– –(فقه السنة)

(المجتمع الإسلاميّ) للدكتور مصطفى عبد الواحد–(منهج التربية الإسلاميّة) للأستاذ محمد قطب (السلوك الاجتماعي في الإسلام) للأستاذ حسن أيوب–(حقوق الإنسان في الإسلام) للدكتور علي عبد الواحد وافي .

(الإسلام في حياة المسلم) للدكتور محمد البهي–(الإسلام والمرأة المعاصرة) للبهي الخولي.

(روح الدين الإسلاميّ) لعفيف عبد الفتاح طبّارة –(المجتمع الإسلاميّ كما تنظمه سورة النساء) للشيخ محمد محمد المدني

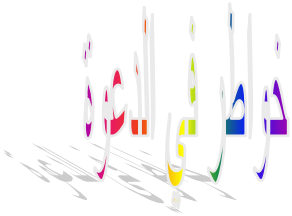

جيل الشكوى والعجز

الأستاذ /عصام العطار

لا تكونوا – يا شبابَ الإسلام – من جيل الشكوى والعجز، الذي يشتكي نواقصَ العمل الإسلاميّ وأخطاءَه ؛ يشتكي الحقيقيَّ والوهميّ، وما يُشتكى وما لا يُشتكى ؛ ولنّه لا يبذل جهداً يُذكَر لمعرفة أسبابِ ما يشتكيه، واكتشاف طريقِ تجاوزِه والخلاصِ منه، والوصول إلى ما يتطلّع إليه من الأصوب والأكمل على كلّ صعيد، ولا يسلكُ هذا الطريق إن اكتشفه، أو كشفه له سواه، ولا يتحمّلُ تكاليفَه ومشقاتِه وتبعاتِ السير فيه

شكوى وشكوى وشكوى .. وليس من شيءٍ وراء هذه الشكوى التي تتكرّر بتكرّر اللقاءات، وتتعدّد بتعدّد الأماكن والمناسبات

شكوى مَرَضيّة، وشكوى تبريريّة، وليست هي الشكوى التي لتلتمس العلاج، وتنشُدُ الشفاء، وتنتهي إلى التشخيص الصحيح، والرّؤية الواضحة، والنّهج القويم، والعمل الإيجابيّ المثمر

شكوى مَرَضيّة : يُدْمِن عليها أصحابها فينتشون بها، ويعانون عقابيلَها، ولا يستطيعون تجاوُزَها والخلاصَ منها.. فهُمْ فيها كمُدْمِن الخمر والأفيون

وشكوى تبريريّة : يبرّر بها أصحابُها لأنفسهم، ولإخوانهم وأصدقائهم، نكوصَهم عن العمل، وانصرافَهم عن الواجب، وهربَهم من المسؤوليّات، وخوفَهم من حمل التبعات .. وانصرافَهم – كغيرهم – إلى الدّنيا، واستسلامَهم لها

إننا – يا شباب الإسلام – نريدُ جيلاً من طرازٍ آخر غير هذا الطراز

إننا نريد جيلاً مؤمناً، واعياً، مفكّراً، مصمّماً، كلّ التصميم على كسب معركة الإسلام، مستعدّاً لحمل كلّ تَبِعَة، وبذل كلّ جهد في هذا السبيل ؛ جيلاً يقظاً قويّاً، يرى النواقص والأخطاء، ويضع يده عليها ؛ ولكنّه لا يغرَق فيها، ولا يقف عندها، ولا تنكسر نفسه في مواجهتها، ولا يغلبه اليأس، ولا العجز والكسل ؛ جيلاً يعيش بفكره وشعوره وكلِّ كيانِه مآسيَ أمّته وآلامَها وآمالَها هلى كلّ صعيد، ويملك الإيمانَ والإخلاصَ والإرادة، والمعرفةَ والوعيَ والمنهج، والطّاقةَ والقدرةَ، والعمل والتضحية ؛ للخروج

بأمّته الإسلاميّة، وبالإنسانيّة كلّها من بَعْدُ، من هذا الواقع الفاجع الذي تتخبّط فيه، إلى الواقع الإسلاميّ المنشود، الذي نرجو أن يتحقّق بعون الله

سياسة التهميش في العمل الإسلامي

بقلم/محمد المصري

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم :-

التهميش هو الحديث الذي غالباً ما يتناوله الإسلاميون عند حديثهم عن التهميش الذي كان يمارس عليهم من قبل الدول و الأنظمة التي تحمل فكر يخالف ويتصادم مع المنهج الإسلامي هذا هو غالب الحديث عندما نتكلم عن التهميش،ولكن في حديثنا هنا لن أتحدث عن هذا التهميش ولكن سأتحدث عن نوع آخر من التهميش ولكنه ليس التهميش الذي يُمارس على الإسلاميين من قبل من تم وصفهم من قبل ، ولكن التهميش الذي أتناوله هنا هو نوع من التهميش قد يمارسه بعض المربين أو الأفراد في العمل الإسلامي تجاه البعض ،والبعض المقصود هنا ليس هو الذي يحمل فكر مخالف للنهج الإسلامي ولكنه يحمل الفكر الإسلامي نفسه .

وقبل أن أشرع في الحديث عن هذه الظاهرة والتي قد تتفاوت النظرة حيالها من بين من يراها ظاهرة قوية وواضحة للعيان وممن قد يراها إنها لا تستحق عناء الكتابة عنها وتسليط الضوء عليها ،أحب أن أقول أن تناولي لهذه الظاهرة هو من قبيل توضيح الظاهرة وذلك لتجنبها والاحتراز منها وحتى تكون صورة العمل الإسلامي نقية ناصعة ،وكذلك فإنه لا ضير على [من يتصدى للدعوة أن يتكلم عن الأخطاء والأمراض التي توهن العمل وتضعف الصف ، فإن الكلام في مثل هذه الأمور ليس من التشاؤم ولا من التثبيط ، ولكنه من الإصلاح الذي تحتاجه الدعوة باستمرار] (1)

أولاً :-وقفة مع المصطلح :-

معنى تهميش في قاموس المعاني:-

هـــ م ش : (مصدر هَمَّشَ).

1- "كَتَبَ تَهْمِيشاً عَلَى حَاشِيَةِ الكِتَابِ" : مَا يُدوَّنُ مِنْ تَعَالِيقَ وَبَيَانَاتٍ عَلَى الهَامِشِ.

2- "حَاولَ تَهْمِيشَهُ" : جَعْلَهُ عَلَى الهَامِشِ، أيْ عَدَمَ إعْطَائِهِ أهَمِّيَّةً .

وقفة مع مصطلح التهميش كمصطلح سياسي اجتماعي :-

يقول د. حامد البشير إبراهيم (إن كلمة التهميش ليست جديدة في اللغتين العربية والإنجليزية ، ومصطلح التهميش يوازى في اللغة الإنجليزية مفردتي:
marginalization والتي تعنى حرفياً وضع الأشخاص أو الجماعات على هامش الأحداث والأفعال ومصطلح social exclusion والذي يعني العزل أو الإقصاء أو الاستثناء أو عدم الشمول .

ومفهوميا فإنّ التهميش جزء من العزل الاجتماعي وليس صنو لـــه.

والتهميش في بعض جوانبه يعني عدم قدرة المجتمع على تفعيل كل أفراده بالدرجة التي يحققون فيها ذواتهم ويفعلون فيها مقدراتهم وقدراتهم ومواهبهم وطاقاتهم. وبالتالي فإن التهميش لا يعني ولا ينبغي أن ينحصر في النواحي الاقتصادية الضيقة بل ذو دلالات ثقافية واجتماعية وسياسية وحضارية ورمزية أيضاً (symbolic) حيث أن التهميش في هذا المضمار يعني غياب الإعتبار lack of recognition وغياب المعنى lack of meaning وغياب القيمة (valueless) لجماعة ما (2) مرافعة لأجل الحقيقة أستفدت من كلامه عن التهميش بما لا يلائم مبحثي وغن كنت لا اوافق الباحث في طرحه عن السودان .

ويوافق مفهوم التهميش مفهوم الاستبعاد الاجتماعي، الذي هو نقيض الاندماج أو الاستيعاب، فهو موضوع حيوي وكاشف لطبيعة البنية الاجتماعية في أي مجتمع.
فالاستبعاد ليس أمراً شخصياً، ولا راجعاً إلى تدني القدرات الفردية فقط بقدر ما هو حصاد بنية اجتماعية معينة ورؤى محددة ومؤشر على أداء هذه البنية لوظائفها. وهو ليس موقفاً سياسياً فقط، ولا طبقياً... الخ، ولكنه جماع كل ذلك. وهو ليس شأن الفقراء وحدهم، ولا هم الأغنياء وحدهم، وإنما هو مشكلة الجميع، وليس أمامهم سوى تقليل الاستبعاد وتعظيم الاندماج وتحقيق الاستيعاب .(الاستبعاد الاجتماعي كتاب عالم المعرفة 344)

التهميش والاضمحلال :-وحين تهمش مجموعة من غير سبب عملي وموضوعي فإنك تدفع بها نحو الاضمحلال وذلك من خلال تحجيم فرص ارتقائها ومن خلال تحجيم فرص ارتقائها ومن خلال محاصرتها على الصعيد الثقافي (هكذا هي الحياة د/عبد الكريم بكار ص 61)

مظاهر الظاهرة :-

لهذه الظاهرة مظاهر شتى وسأذكر منها صورتين وهما:-

1-التهميش الذي يُمارس بين فرق العمل الدعوية المختلفة وممارسة كل مدرسة ما يسمى باحتكار الصواب أو حيازة الخيرية فقط دون ما سواها .

وهذه الظاهرة ممن يطلق عليه في الواقع الدعوي بمصطلح آخر وهو مصطلح الحزبية الذي هو عبارة عن داء وبيل يفتك بالإخوة الإسلامية ، فيقطع أواصرها ويجعل صفوهاً كدراً .

هل يجوز للمسلم أن يكون وجهه الطلق ؛ وابتسامته العريضة ، وسلامه الحار لمن هو من حزبه أو جماعته ؛ ولغيره العبوس والسلام البارد ؟ ! وهل يجوز للمسلم أن يغض الطرف عن أخطاء أصحابه ؛ وإذا وقع غيره في الأخطاء نفسها شهّر به وتكلم عليه ؟ ! وإذا ذكرت له انحرافاً في الفكر أو التصور وقع به واحد منهم أتى بالمبررات وقال : هذه أخطاء ؛ ولكنها لا تخدش في أصل المنهج ! وبسبب هذه الحزبية تراه لا يطّلع ولا يقرأ ولا يستقي إلا من طرف واحد ، من كتب أصحابه وممن يوصى أن لا يقرأ إلا لهم ، فيتخرج ضيّق الأفق ، مشوه الشخصية الثقافية ، لا ينظر إلا من زاوية واحدة ولا يعرف إلا الفكر الأحادي .

كيف تغلغلت هذه الحزبية إلى صفوف الدعوة ؟ ومن الذي يمدها حتى تستمر ؟ لا شك أنها التربية السيئة التي تمارس على الفرد فيقال له : نحن الأفضل ، وغيرنا فيه نقص كذا ونقص كذا ، وكل هذا حباً في التكثير والتجميع ، فلا بد أن يشوه الطرف الآخر حتى لا يذهب الفرد إليهم ، وكأننا أحزاب تتنافس على الانتخابات فهي تشتري الأصوات بالدعاية والمال .

ومن هذه التربية أن يحال بين الفرد في أول عهده بالدعوة وتلقي العلم ، وبين الجلوس إلى العلماء أو من عندهم علم وخبرة ، فيربونه بأدبهم وسمتهم وتجربتهم ، وإذا حيل بينه وبين هذا فهو يتلقى ممن يباشر عملية التربية ، فإذا كان ديناً وعنده علم وليس فيه حب الزعامة كانت التربية أقرب للصواب ، وإذا كان ممن يحب الزعامة أو فيه شيء من زغل العلم فعندئذ يتخرج من تحت عباءته شباب متحزبون مشوهون .

ولعلاج هذه الظاهرة فنقول أنه [لا ينجو من هذا الداء إلا من تنبه له من البداية ، وعرف أن أنواعاً من التربية ستؤدي حتماً إلى الحزبية ، فخاف واحتاط لنفسه ، فهو يحاسب نفسه ويلتفت وراءه ويجدد ويتجدد بين كل فترة وأخرى ، حتى لا يقع في هذا الداء الذي تطاير شرره وعم بلاؤه]

كذلك فإنه يجب أن يكون تحرير معلم الولاء والبراء للحق لا للأشخاص [لنتأمل في أنفسنا : ما هو محور الولاء فيها : (أهو الرجل أم الحق ؟

وماذا نفعل حين تقدم لنا فكرة (الرجل) الذي نحبه تحت اسم (الرجل) الذي نكرهه ؟ .. ألا يدفعنا ذلك إلى رفضها ، ربما دون النظر فيها ؟ ! ! وهل يسهل علينا أن نرى الرجل الذي نحبه يخطئ .. أو نصف رأيه بأنه (خطأ) ؟]محمد محمد بدري بين الحق والرجل .

فأهل السنة والجماعة انتسابهم وانتماءهم للكتاب والسنة ، ومتبوعهم هو محمد صلى الله عليه وسلم ، وأما الرجال عندهم فأدلاء على الحق

2-تهميش مجموعة من أفراد العمل داخل فريق العمل الواحد لأسباب مختلفة وقد يكون منها عدم التوافق النفسي بين الأفراد وقد يكون اختلاف الفروق الفردية بين الأفراد .

وهو ما يصفه البعض بمصطلح الشللية الذي هو [داء قديم سرى إلى التجمعات الإسلامية كنا نسميه مشكلة (الشِلَلْ) وهو أن تجمع عدد قليل ممن تتقارب أسنانهم أو ثقافتهم أو جمعهم الأقليم الواحد ، وقد يكون

هذا طبيعياً في البداية ، ولكن بسبب انسجام آرائهم ، يتطور الأمر ليشكلوا أداة ضغط على العمل ويتعصبون لبعضهم ، ويقدمون الخدمات لأنفسهم ، ويحاولون كسب الأنصار ، ولا مانع عندهم من وضع الناس في غير مواضعهم وعلى حساب الكفاءة والإخلاص ، وتسير الأمور بهذه الطريقة وتصبح كأنها ظاهرة طبيعية فيشار إليها ضمن العمل الكبير ويقال : مجموعة فلان أو (شلة فلان) . وهذا المرض إذا لم يتنبه له في البداية يستفحل ويؤثر تأثيراً سلبياً على الدعوة .

وعودة إلى السيرة النبوية وفقهها ترينا كيف منع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – مثل هذه التجمعات التي تبنى على القرب الجغرافي أو الانسجام في النفسيات ، وذلك بأن استفاد من الطاقات المبدعة ووضع كل إنسان موضعه ، وشغلهم بالنافع والمفيد ، و لم

يقرب أحداً لقرابة أو لمغنم أو مغرم ، فالكل يرى نفسه منسجماً مع الدعوة له مكان فيها ، ولكن عندما تقع أخطاء مثل هذه من الكبار فمن الطبيعي أن يكون رد الفعل انحرافات مثلها ، فيتجمع العدد القليل ليثبتوا أنهم موجودون وأن لهم تأثيراً وفاعلية .

وقد يكون من الطبيعي أن ينسجم عدد محدود مع بعضهم على ألا يؤدي هذا إلى عمل جيوب داخل الجماعة ، وعلى من يمارس عملاً مثل هذا أن يتقي الله ، ويشعر بالمسؤولية ولا يزكي أحداً إلا على أساس الكفاءة والإخلاص .

وقد يكون من أسباب هذه الظاهرة :-

-أن يكون منهج الاستيعاب الدعوي في فريق العمل الدعوي به خلل بحيث يجعل من الصعوبة التعامل مع جميع الأفراد داخل فريق العمل ، والذي لا شك فيه أن الدعاة كبقية الناس يتفاوتون في قدراتهم على الاستيعاب .. ولكن الذي لابد منه كذلك أن يتمتع كل داعية بحد أدنى من القدرة على الاستيعاب لأنه بغيرها لا يكون داعية أو عاملاً في إطار الدعوة ...إن عدم توفر الحد الأدنى من القدرة على الاستيعاب قد لا تجعل الداعية عقيم الإنتاج عديم الفائدة فحسب بل قد تجعله مسيئاً للإنتاج مسبباً الضرر للإسلام والحركة على حد سواء ...العلاقة بين الاستيعاب ونجاح الدعوة علاقة جذرية إذ لا نجاح بدون قدرة على الاستيعاب .. والدعوة الغنية بالدعاة القادرين على اجتذاب الناس إلى الإسلام وإلى الحركة يصبح حظها من النجاح ومن تحقيق أهدافها قوياً .

1- محمد العبدة خواطر في الدعوة التجمعات الصغيرة .

نافذة على الواقع

وجود برامج إسلامية مدوّنة ... ضرورة حتمية

الأستاذ /مجدي داود

يكثر اليوم المنادون بتطبيق الشريعة الإسلامية والمنظرون لهذه الفكرة، حتى صارت عمل كثير من المنتسبين للتيار الإسلامي.

الكل يتحدث، والكل يطالب، لكن لا أحد اليوم لديه رؤية كاملة عن كيفية تطبيق الشريعة في الوقت المعاصر. ولا احد لديه رؤية عن كيفية حل المشاكل والعقبات التي ستواجه الذين يعملون على تطبيق الشريعة، حتى إذا ما تحدث العاقلون وأكدوا أنه لابد من الصبر وبذل جهدٍ جهيد وعمل شاقٍ مضني لتبيان كثير من الأمور، إتهم بمخالفة كتاب الله وسنة رسوله واتهم بالتمييع وغير ذلك من الإتهامات.

في هذه الفترة العصيبة من الزمن نحتاج، أكثر ما نحتاج، إلى البعد عن التعصب لغير كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم, ونحتاج فيها إلى إعمال العقل وفقاً للضوابط والأصول التي قررها أهل العلم وألا نقف عند ما وقفوا عنده، ونقول هاهنا توقف العلم, بل نمعن النظر في الأدلة ونستخرج منها حكماً جديدة، وعبراً ودروساً وفوائداً وسبلاً وطرقا وأوامراً ونواهي معاصرة.

روى الإمام مسلم في صحيحه عن بريدة رضى الله عنه أنه روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه إذا أمّر أميراً على جَيْشٍ أو سريّة أوْصَاهُ في خَاصّتهِ بتَقْوَى الله ومَنْ مَعَهُ مِنَ المُسْلِمِينَ خيَراً، فقال (... وإذا حَاصَرْتَ أهْلَ حِصْنٍ فأرَادُوكَ أنْ تُنزلهم على حُكْمِ الله فلا تُنْزِلُهُمْ على حُكْمِ الله ولكن أنْزِلْهُمْ على حُكْمِكَ فَإنّكَ لاَ تَدْرِي أتُصِيبُ حُكْمَ الله فيهِمْ أم لا). من هذا الحديث الشريف نخرج بفائدة هامة ضرورية أكدها كل أهل العلم والفقه وهى ان كل شخص يؤخذ منه ويرد إلا المصطفى المعصوم صلى الله عليه وسلم.

نخرج من هذا الحديث بأن فهم العالم والفقيه لكلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم ليس هو لزاما أنه عين مراد الله ورسوله من هذا الكلام، فهذا العالم قد اجتهد وفق الأصول والضوابط المقررة، ووفق قدراته العقلية البشرية, فهذا العالم في النهاية بشرٌ ومهما بلغ من الذكاء والفهم والعلم ففيه نقص، لم ولن يبلغ الكمال أبدا. من أجل هذا فرسول الله صل الله

عليه وسلم نهى أمراء الجيوش والسرايا أن يحكموا على الناس ويقولون لهم هذا حكم الله، بل وجّههم صلى الله عليه وسلم إلى التفريق بين حكم الله وبين فهمهم لكلام الله وأمرهم بإنزال الناس على حكمهم الذى استنبطوه وفهموه بقدراتهم البشرية من كلام الله. بل لقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يتقدمون بين يدى رسول الله باقتراحات ونصائح، فيقبلها منهم ويفعلها صلى الله عليه وسلم. فتذكر كتب السيرة انه فى غزوة بدر عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل بئر بدر فقال الخباب بن المنذر رضي الله عنه (يا رسول الله : أرأيت هذا المنزل أهو منزل أنزلكه الله فليس لنا أن نتقدم عنه أو نتأخر أم هو الرأي والحرب والمكيدة), فقال النبي صلى الله عليه وسلم (بل هو الحرب والرأي والمكيدة), فقال الخباب (فليس هذا بمنزل فانهض بنا حتى نأتي أدنى ماء من القوم فننزله ونغور ما وراءه من الآبار), فاستحسن النبي صلى الله عليه وسلم رأي الحباب ومضى بأصحابه حتى نزل بالعدوة الدنيا مما يلي المدينة وجيش قريش بالعدوة القصوى مما يلي مكة, وانتصر المسلمون انتصارا عظيما فى هذه المعركة رغم فارق العدد والعتاد بينهم وبين المشركين.

ومن هذا نخرج إلى ضرورة وجود صياغة لبرامج سياسية لإدارة الدولة فى ظل حكم الشريعة الإسلامية، تتضمن هذه البرامج الخطوط العريضة والأسس التى يجب ان يبنى عليها النظام السياسى الإسلامى، ثم تتضمن تفصيلا لكيفية إدارة الدولة بالشريعة الإسلامية فى كافة المجالات والجوانب من سياسية واقتصادية ومصرفية واجتماعية وقانونية وتعليمية وثقافية بما تتضمن كل تلك الجوانب من مشاكل كبيرة وكثيرة.

إن وجود مثل هذه البرامج ضرورة حتمية، لأن الكلام النظرى سهل يسير، ولكن التطبيق العملى تصاحبه دائما عقبات ومشاكل، وقد ينتهى بالنجاح وقد ينتهى بالفشل. وقد يكون الأساس صحيحا ولكن يكون التطبيق خاطئا فينسب الناس الخطأ إلى الأساس الصحيح بدلا من نسبته إلى طريقة التطبيق والتنفيذ، خاصة عندما نتحدث عن المنهج الإسلامى حيث يقف أعداء هذا المنهج بالمرصاد ينتظرون أى خطأ، ولو يسير، ليشنوا حملات التشويه التى يجيدونها ويبرعون فى أساليبها، لكى يقولوا للناس ها هو الإسلام قد فشل فى معالجة مشاكلكم، مع أنهم قد فشلوا مرارا وتكرارا ولم ينجحوا البتة فى معالجة مثل هذه المشاكل. ولكنهم ينسبون الخطأ وقت الفشل للتطبيق وينسبون النجاح للمنهج ذاته ويحاولون الإستدلال به على صحة مناهجهم الفاسدة.

ومن الضرورى أيضا أن تتعدد هذه البرامج وتتعدد طرق ووسائل تطبيق المنهج الإسلامى القويم. ففى هذا التعدد يبدع المبدعون ويكون هناك نوع من الثراء الفكرى، وما يتبعه من اكتشاف سبل جديدة ووسائل وعلاج لما قد يقع من مشاكل نتيجة خطأ البعض فى تطبيق المنهج الإسلامى، والإسلام يدعونا إلى التفكير دوما والبحث عن الأفكار الجديدة المفيدة، والمسلم لا ينكر على صاحب فكرة حتى لو كانت خطأ بل يبين له خطأها دون أن ينال منه أو ينهاه عن التفكير.

ومن ناحية اخرى فالتعدد فى هذه البرامج المستقاة والمنبثقة من الشريعة ضرورة شرعية أيضا، لأنه إن كان البشر مختلفون فى افهامهم وعقولهم، فهم مختلفون أيضا فى النتيجة التى يصلون إليها، وعندما يكون هناك أكثر من برنامج يتفق مع الشريعة ولا يخالفها، فإن أهل العلم والخبرة يختارون من بينه أيضا ما يناسب المكان والزمان الذى سيطبق فيه، ولا يمكن لنا أن نلزم الناس كلهم بفهم عدد محدود من البشر للشريعة الإسلامية فى حين أنه قد يكون هناك من هو اكثر فهما منهم وأكثر قدرة على صياغة برامج لتطبيق الشريعة تتناسب اكثر مع الواقع.

يجب أن تكون هذه البرامج مكتوبة ومتاحة لكافة الناس، حتى يستطيع ابناء وأنصار التيار الإسلامى من العوام أن يحدثوا الناس عنها وأن يبرهنوا أن التيار الإسلامى لا يتاجر بالدين كما يدعى العلمانيون والليبراليون. بل سيكون التيار الإسلامى قادراً على مجابهة العلمانيين والرد على شبهاتهم وتفنيدها من خلال تلك البرامج المكتوبة، وحينها سيتبين للناس حسن المناهج والبرامج المستمدة من الشريعة الإسلامية الغراء وسيتيقنوا أن الشريعة الغراء تسمح بمساحات من الإختلاف ضمن الإطار العام لها وأنها ليست جامدة ولا متحجرة كما يروج لذلك التيار العلمانى والليبرالى.

هل أنت « استراتيجي » أم « تكتيكي » ؟

بقلم د. صلاح الدين النكدلي

يستخدم أهل الغرب مصطلحين لهما دلالات في الفكر وفي واقع الناس ؛ الأول : مصطلح « الاستراتيجية » والثاني : مصطلح « التكتيك » ، ويعنون بالأول « الاستراتيجية » : السير في العمل الفردي والجماعي وفق خطة مترابطة ومنسجمة مع الأهداف الآنية والمستقبلية ، فيقولون مثلا : « فلان صاحب رؤية استراتيجية » و « هذه مرحلة في الاستراتيجية المعتمدة » و « استراتيجيتنا تنص على كذا وكذا » .. وهكذا .

ونظراً إلى الحاجة الماسّة إلى « الفكر الاستراتيجي » و « العمل الاستراتيجي » فقد كثرت وتنوعت مراكز الدراسات الاستراتيجية ، التي تقدم خدماتها للحكومات ، والأحزاب ، والمؤسسات ، والأفراد ، وأضحى هذا المصطلح يحمل معاني إيجابية عند الإثبات ، كما ذكرنا في الأمثلة السابقة ، ويحمل أيضاً قيمة سلبية عند النفي ، فيقال مثلاً : « فلان يفتقر إلى الاستراتيجية » أو « إنّ عقله غير استراتيجي » ويقصدون بذلك أنه فعّال منتج ، ولكنه لا يلتزم في عمله بخطة ، ويفتقر إلى النظرة المستقبلية ؛ فهو لا ينظر إلى ما يقوم به اليوم في ضوء مآلات الأمور في الغد .

أما المصطلح الثاني « التكتيك » فيعنون به : التفاعل مع الواقع ومتغيراته على أساس التصرف الآني ، بحيث يدفع ما يُرى أنه مفسدة ، أو يجلب ما فيه مصلحة ، وهذا التصرف ربما أفاد في الحال ، وكان مدمراً في قابل الأيام . فالإنسان « التكتيكي » يفتقر إلى التمرس بـ « فقه الأولويات » و « فقه الموازنات » و « فقه المآلات » أو « استشراف المستقبل » . فإذا أسفرت اختياراته عن إخفاق أو دمار ، فإنه يسارع إلى تجريم الآخرين أو يتهم الظروف ، ويسوِّغ ضعف مواقفه وسوء قراءته للواقع وللمستقبل بأن اختياراته كانت مناسبة في ظروف اتخاذه القرار !! .

في ضوء كلامنا السابق يرد السؤال الآتي :

هل قيادات التيار الإسلاميّ « استراتيجيون .. أم « تكتيكيون » ؟

والذي يلوح لي في الجواب أن معظم القيادات ؛ الدعوية ، والتربوية ، والحركية ، والسياسية ، مصابون بـ « جزئية الرؤية » و « الافتقار إلى برنامج عمل ذي مراحل » و « ضعف القدرة على الاجتهاد » . وتستفزهم « الانتصارات أو الإنجازات الصغيرة » فيظنون في أنفسهم القدرة على اتخاذ القرارات المصيرية ، وقد تكون « طُعماً » وضعه خصومهم في فخٍّ ليصطادوهم !! .

وحين تنكشف القرارات عن طامات مهلكات فإن « التبرير » حاضر ..

لا تلمْ كفي إذا السيف نبا صحَّ مني العزمُ والدهرُ أبى

رُبَّ ساعٍ مبصرٍ في سعيهِ أخطأ التوفيق فيما طلبا

ويغيب عن كثير من هؤلاء الفضلاء أن العلة في التكوين العاطفي الذي يطبع جمهرة القياديين المؤثرين .. ورحم الله أحمد شوقي حيث قال في مثل هؤلاء :

إنّ الشجاعة في القلوب كثيرةٌ ووجدت شجعان العقول قليلا

ولعل الإشارة إلى عدد من الصور المؤسفة التي تتكرر في الواقع تغني عن العبارة ..

قبل سنوات التقيت بإخوة قادمين إلى أوروبا من قطر عربي ، وتحدثنا عن قضايا تنال من قدرة التيارات الإسلاميّة على العطاء الأمثل ، وتمنع فصائل واعية من العمل المنهجي المدروس .. وذكرت لهم : إنّ أهم سبب يعطل الطاقات إنما يرجع إلى نوعية القيادات ، فالقيادة في معظم فصائل الحركة الإسلاميّة « فردية ومزاجية » حتى وإن كونت بعض الجماعات مجالس قيادية وشورية ، فما يزال « القائد الفرد » هو الذي يجتمع عليه أعضاء الجماعة ، وجميع الذين يحيطون به لا يحظون بالمكانة القيادية مهما كانت كفاءتهم . وقلت أيضاً : إنّ ظاهرة « الشيخ والمريد » تحكم الشيخ وتتحكم بالمريدين . قال أحد الحاضرين : إنّ هذه الظاهرة مزعجة لنا في البلاد العربية ، فهل استطعتم – وقد أقمتم في أوروبا سنوات طويلة – أن تتجاوزوا هذه المشكلة التربوية الثقافية ؟ . فأجبته : لقد سطرنا على الورق ما يفيد أننا تجاوزنا هذه الإشكالية ، ولم نُمتحن بعدُ بما يكشف : هل الطبعُ يغلب أم التطبّع ؟ ، إذ لا يخفى عليكم أن بعض طباع المرء تُكتسب ، ولا أكتمكم أن هناك إشارات مزعجة ومقلقة في الممارسة !! .

العمل الجماعي ثمرة الاقتناع القلبي العميق بواجب التعاون على البرّ والتقوى ، وهو سنة ماضية في المجتمعات الحيّة المعطاءة ..

والعمل الجماعي الناجح هو الذي يستجيب للواجبات ، ويختار من صور الترابط والتنظيم ما يجعله فعالاً في ظروف الزمان والمكان والإنسان ..

والعمل الجماعي هو الذي يجمع الطاقات والإمكانات لتحقيق الأهداف الجليلة للأمم ، وبدونه لا تنهض المؤسسات في المجتمع .. ولذلك يتصدّى الحكام المستبدون وأعوانهم لكل عمل جماعي محاولين ؛ احتواءه ، أو تشويهه ، أو ضربه وتفريقه ، وقد تمكن الطغاة المحليون والدوليون – في السنوات الأخيرة – من توصيل رسائل إلى الفئة الحيّة من المسلمين ، وذلك عبر الإغراءات والمخاوف والإعلام ، ومفادها : إذا أردتم النجاة من المساءلة ، والإهانة ، والقلق ، والعقاب ، والتصفية .. فابتعدوا عن العمل الجماعي ، وتخلوا عن « فكرة التنظيم » ، لأن العمل الإسلاميّ المنظم تسييس للدين ، ثم إنّ هذه الصور من العمل الجماعي الموجودة في العالم الإسلاميّ ، إنما كانت ردّ فعل على إلغاء الخلافة العثمانية وعلى علمنة الدولة الحديثة التي أوجدها الاستعمار الأوروبي في بلاد المسلمين بعد تمزيقها ، اقتنع بتلك المقولات وأمثالها عاملون في مجال الدعوة والتربية ، ودعاة بذلوا عقوداً من

الاهتمام والجهود رافعين شعار « نعم للتغيير ولا للإصلاح الجزئي » . وإذا بناس من هنا وهناك يتبنون التخلي عن التنظيم والعمل الجماعي ، ويسوغون ما ذهبوا إليه بالحكمة ، ونقد الذات ، والمعاصرة ، وبأن تكاليف العمل المنظم باهظة جداً إذا قارناها بإنجازاته المتواضعة .. إلخ .

في هذه الأجواء من الفتن الحبلى بالشبهات يصاب ركن من أركان العمل الاستراتيجي « العمل الجماعي » في مقتل ، وتتحول الطاقات إلى ألوان من « التكتيك » لكي تحافظ على نوع من الاستمرار في الوجود الباهت ، لأن العمل الاستراتيجي يرفض منطق الفردية في التفكير والتنفيذ ، والعفوية في التعاون ، وافتقاد « البوصلة » التي توجه المسير ..

1-إنّ الأهداف المحددة والواضحة شرط أساسي للنجاح ، وكلما كانت الأهداف واقعية فإنها تساعد الناس على فهمها والالتفاف حول الداعين إلى تحقيقها ، والأهداف الواضحة تغذي « الفكر الاستراتيجي » الذي يرمي إلى « تجديد الإسلام وبعث المسلمين » و « إحياء العمل بأحكام الشريعة في حياتهم الفردية والجماعية » ، وهذا يقتضي : ترشيد الأمة والنهوض بأبنائها ليقوموا بواجب الشهادة على الناس قولاً وفعلاً ، وهدايتهم إلى صراط العزيز الحميد .. إنّ فصائل الحركة الإسلاميّة مجمعة على ضرورة « التجديد » و « الإحياء » و « الترشيد » و « النهوض » و « التغيير » و « الشهادة على الخلق » ، وكان الذي يميز فصيلاً عن آخر الواجبات التي يركز عليها في الواقع كل فصيل ، وما يتصدى له من التحديات ، وهذه المعاني الجليلة كانت وراء تحريك القلوب والجهود لتلتقي في ساحة العمل الجماعي الضروري لتحقيق التغيير المنشود .

فلما أضحت هذه المعاني باهتة في عقولٍ وقلوبٍ ، بفعل « الاخفاقات التي سببتها الاجتهادات العاجزة » و « الانفعالات المتعجلة » و « التخلف في إدارة العقول والجهود » و « المخاوف الهاجمة والشهوات الهائمة » .. إذا بناس مخلصين يتمسكون بالألفاظ ، ولكنهم يهربون من العمل الجماعي الذي يطرح صوراً لواجبات تسهم في حمل راية الإسلام ، وتبليغ رسالته ، وأداء الأمانة ، وهذا الهروبُ جذب دعاة مخلصين من ساحة العمل الاستراتيجي وقذف بهم في مجال « التكتيك » ظانين أنهم محسنون .

وبعد

فإن الساحة الإسلاميّة بأمسِّ الحاجة إلى مراجعة نقدية عميقة للعمل الجماعي ، بحيث تستوعب هذه المراجعة « الأهداف » و « الواجبات » و « الوسائل » ، وأن تختار من أشكال التنظيم ما يرسخ جماعية التفكير والتنفيذ .

ويجب أن يضع العاملون في مجال الدعوة إلى الله عزَّ وجلَّ أيديهم على الأسباب الحقيقية للإخفاق ، فقد آن الأوان لأن يدركوا أن عدم التزامهم بـ « السننية في العمل » هو المسؤول عن الاضطراب والعثرات والعفوية التي تفتك

بالجهود وتشوه الرؤية وتقزِّم الأهداف ، وهذه تفضي إلى البعد عن « العمل الاستراتيجي » وتقنع كثيرين بـ « التكتيك » .

الدولة الوظيفية والثورات العربية

حسين سيد هلال

الدولة الوظيفية هي :

الدولة التي تؤسس أو يعاد صياغة توجهها أو توجه نخبتها الحاكمة لتضطلع بوظيفة معينة ، ويصبح جوهرها هو هذه الوظيفة (1)

استمر الحكم الإسلامي في شكلين كونيين : "خلافة النبوة الراشدة" "الملك الجبري" ، منذ ظهور الإسلام إلى بداية القرن العشرين، ولم يسقط تلك هذا النمط في الحكم دفعة واحدة ومفاجأة، بل أخذت قرونـًا طويلة حتى سقطت في شكلها الأخير "العثمانية" ، تبعـًا لسنن الله في المجتمعات.

الذي نود التأكيد عليه أن الحكم الإسلامي بشكليه اتخذ شكل واحد للحركة هو : الحركة إلى الخارج إلى خارج حدود "دولة الخلافة" ولم يعيقه في شكله الأخير إلا دولة الإعاقة الصفوية، حيث ما فتئت "دولة بني عثمان" الذي امتدحها رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله : " لتفتحن القسطنطينية فنعم الجيش جيشها ونعم الأمير أميرها" أن تتجه لتغزو أرض الروم ، الذين قال فيهم المعصوم صلى الله عليه وسلم : "هم أصحابكم إلى يوم القيامة" ، فوصلت إلى مشارف دول البلقان "كوسوفو" و "الجبل الأسود" حتى قامت "دولة الإعاقة الباطنية" "الصفوية" بمناوشتها من الشام، فاضطرت للعودة إلى بلاد العرب (الداخل) لقطع المد الباطني، وتوقف امتدادها للخارج بقدر من الله عز و جل .

في هذه الحركة للخارج كانت لـ"دولة الخلافة" بشكليها "الخير المحض" و"الخير الذي فيه دخن" وظيفة عليا وهي "الوظيفة العقيدية" الذي تؤسس على نصوص كثيرة مركزيتها قول الله تعالى : { كنتم خير أمة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله }

فلما انفرط عقدها على يد "اللادينيون/العلمانيون" الأتراك، ثم نصارى الشام، ثم العسكر وكلاء المحتل في الشكل الذي أمر الرسول صلى الله عليه وسلم باجتنابه ووصفه بأنه "الشر المحض" "الملك الجبري" وفي رواية "الطواغيت" وأمر حذيفة باعتزال الطواغيت "إن لم يكن للأمة جماعة ولا إمام يجمعها"

قسموا الأمة بين أعدائها أولاً "سايكس ـ بيكو" ، ثم اتخذوا وكلاء جاءوا بهم على "دبابة أجيرة" أو "ناقة العشيرة"، ورسخوا دولاً قطرية، يعمل حكامها في خدمة مشروعات دول الاستعمار العالمية سواء كانت "شرقية ـ سوفيتية" أو غربية "بريطانية ـ فرنسية ـ إيطالية .. ثم أمريكية بالوراثة" (2).

لنترك هذا العرض التاريخي المعروف إلى ما تعنيه "الدولة الوظيفية" من حيث الواقع :

الدولة الوظيفية القطرية واقعيـًا :

وظيفية الدول القطرية العربية تعني فيما تعني من الناحية الواقعية : ـ

1. قيامها بخدمة مشاريع الآخرين ، فترى دولاً تخدم "المشروع الصفوي الباطني" سوريا وعراق ما بعد صدام وأقليات شرق الخليج خاصة العربية السعودية أنموجـًا ، وأخرى تخدم "المشروع الصهيو ـ صليبي" مصر والعربية

السعودية أنموذج آخر؛ وتلاحظ إزدياد شدة الخلاف وبالتالي الصراع بين الدول الخادمة لهذا المشروع وهذا المشروع عند تعارض مصالح المشروعين، مثلاً في الصراع حول المنطقة الواقعة بين العراق وسوريا ولبنان والذي يمثل المشروع الصفوي الباطني فيها "حزب حسن نصر الله"

2. أن نخبها "المتغربة" تمثل رأس الحربة في (الصراع/التدافع) في مستوى "التسميم السياسي" ، الذي يتجلى في كلاً من "السياسة التعليمية" "السياسة الثقافية والإعلامية" ، ويكتمل ثالوث التدافع بـ "السياسة الأمنية" في مواجهة التيار الممثل للمشروع الإسلامي بمعناه الواسع . هذه النخب تنقسم إلى قسمين رئيسيين وأن بدا لنا أنهما في حالة صراعية ، النخب الحاكمة والنخب المثقفة/المعارضة، ألم ترى أن صموائيل ب. هنتجنتون قد نص على دور تلك النخب في محاربة أصحاب المشروع الإسلامي باعتبارهم حماة خط التماس بين الحضارة الرومانية التي يمثلها الغرب وإسرائيل في مواجهة الحضارة العربية الإسلامية!!(3)

3. أن أهم وأعلى هدف للنخب الحاكمة في "الدول الوظيفية" العربية، الحفاظ على السلطة مهما كان الثمن ،رأينا كيف تحولوا إلى جواسيس صرحاء عند الأعداء ، الأمثلة كثيرة : بداية من مدعي الهاشمية "الملك حسين" الهالك ، و "حسني مبارك" المخلوع، و "يوسف بطرس غالي" الوزير المصري ، وما خفي كان أعظم وأفجر

4. النخب المثقفة في المؤسسات الوسيطة "أحزاب ـ جماعات ضغط ـ مؤسسات المجتمع المدني" تسعى فقط لتغيير الأشخاص، ولا هم لها بتغيير "وظيفية الدولة"، ولا رغبة عندها في الاستقلالية التامة عن الاستعمار بجميع أشكاله ، ألم ترتضي تلك النخب أن تترف من تمويل أمريكي أو بريطاني أو اسباني أو فرنسي لمؤسسات المجتمع المدني الضاغطة؟!

5. أي دور إقليمي لأي دولة قطرية وظيفية، ما هو إلا "وظيفة" لدى الوكيل الإقليمي عن المركز صاحب المشروع، ونتذكر هنا طق حنكك السيد ـ كما يقال له ـ عمرو موسى وقت أن كان أمين ـ كما يدعون ـ لجامعة الدول العربية في إطلاقه مصطلح "المهرولون" عام 1995، لمجرد أن الأردن تصارع مع مصر لاستضافة "بنك الشرق الأوسطية" على أرضه وفاز به ، البنك الذي خططوا ليكون ممولاً لمشروع "الشرق الأوسط الجديد" الصهيو ـ صليبي ، فإن كان الأردن قد هرول وسرق دور الخادم من مصر ، فبماذا نوصف مصر لو سارعت هي لتتولى هذا الدور وتستضيف البنك الذي يرسخ سيطرة دولة الكيان المحتل على مجمل الإقليم الذي جعلوا "عمرو موسى" أمينـًا (!!!) عاما لهيئته الإقليمية ؟!

6. الموت الحضاري للإنسان العربي، حيث لا دور له في هذه الأرض إلا "الاستهلاك" من السلاح إلى لقمة عيشه . ولا "وظيفة حضارية" تستدعي سعيه خارج حدود بلاد العرب ينشرها ويبشر بها العالمين رحمة ورأفة بهم.

المؤسسات الجامعة للدول العرب القطرية والوظيفية :

في إطار الحقائق الواقعية السابق عرضها تصير ممارسة العمل الجماعي العربي الممثل في "جامعة الدول العربية" عبثـًا وتهريجـًا وتضييعـًا للموارد وللوقت، حيث ينقسم أعضاء الجامعة العربية دائمـًا إلى قسمين حسب المشروع المركز التابعين له، فإذا أضفنا إشكاليتين أخريين وهما :

- طريقة اتخاذ القرار بالجامعة "الإجماع" .
- نص ميثاق الجامعة ضرورة عرض أي قضية وقرار يستوجب عمل ـ لو تم ذلك ـ على هيئة الأمم المتحدة وخاصة "مجلس الأمن" ، شكل آخر من أشكال "الوظيفية" ولكن للمنظمة العربية هذه المرة !!

علمنا مدى استخفاف "النخب الحاكمة" الوظيفية وكذلك "النخب اللادينية/العلمانية" الوظيفية بشعوبنا، وثقل المهم الملقاة على عاتق من تصدى لتعليم هذه الشعوب بحقيقة واقعهم لو استهدف أن يكون "وارثـًا حقيقيـًا للنبوة" .

قامت الثورات العربية في تونس ثم مصر ..الخ ، بقدر الله وما خططت لتكون ثورات ، كانت مفاجئة للعالم ولمن قاموا بها ، تلك حقيقة لا ينكرها إلا كاذب، كان المفروض أن يكون من أهم مطالب تلك الثورات جميعـًا : رفض نموذج "الدولة الوظيفية" لنظم ما بعد تلك الثورات، واستبدالها بـ "الوظيفة العقيدية". بمعنى : رفض تحقيق مشروعات الآخرين، وإعلان مشروع دولة "أمتنا العربية" المستقلة بحق عن الاستعمار بكل أشكاله "المباشرة" و"غير المباشرة" .

لماذا نرفض نموذج "الدولة الوظيفلية" :

لم يعرف الغرب الأوربي دولة موحدة ذات "وظيفة عقيدية" رسالية، كما أبدع الإسلام "دولته العقيدية" الرسالية . لكن أوروبا حاولت منذ عقود التوحد تحت راية واحدة "الاتحاد الأوروبي" وذراعه العسكرية "حلف شمال الأطلنطي ـ الناتو"، وتحقيق حلم العملة الموحدة "اليورو".

ألسنا أولى من اوروبا بهذا الحلم ؟! لأننا نملك تاريخـًا وأنموذجـًا فريدًا استمر لأكثر من ألف عام وأن جرت عليه سنن الله على الدول والأفراد، من حيث الأحياء والمرض والعافية . .الخ

هذا الأنموذج تمثله "دول خلافة النبوة الراشدة" التي استمرت ثلاثون عامـًا على يد الخلفاء الراشدون ، ثم تكرر بتكامله في عصر "عمر بن عبد العزيز" و "المعتضد العباسي" و "المستضيء العباسي" ، و "نور الدين زنكي" و "صلاح الدين الأيوبي " و "يوسف بن تشفين" و"محمد الفاتح العثماني" . واستمر ما يقرب من أكثر من ألف عام بأشكال فيها نقص وإن كانت حافظت على كثير من ثوابت "نظام خلافة النبوة" ؟! (4)

الثورات العربية اليوم فرصة تاريخية لنوسع الرؤية، نصعد لننظر إلى الفترات التي كنا فيها فاعلين، حركتنا خارجية، نحمل رسالة العدل والحق للعالمين جميعـًا .

"لقد أثبتت الأيام والأحداث والوقائع أن مشاكل العالم العربي واحدة متشابكة لا انفصام بينها ، ولا يمكن حلها حلا قطريـًا مهما تصور الواهمية"(5)

فلماذا يجتمع غيرنا ونتفرق؟ لماذا يتحرر غيرنا ونصر على وكالة المحتلين؟ لماذا لا نكمل الثورات التي قدر الله لنا أن تقام بأيدينا أو بأيدي غيرنا ؟

الهوامش

(1) عبد الوهاب المسيري ، الدولة الوظيفية ، موسوعة اليهود واليهودية ، على الرابط:

http://www.elmessiri.com/encyclopedia/JEWISH/ENCYCLOPID/START/MAFAHIM/M52.HTM

(2) راجع في ذلك إن شئت :

ـ مايلز كوبلاند ، اللاعب واللعبة ،

ـ مايلز كوبلاند ، لعبة الأمم ، دار الكتاب العربي .

ـ محمد محمد حسين ، الاتجاهات الوطنية في الأدب العربي ، القاهرة : دار السلام .

(3) صموائيل ب. هنتجنتون، صدام الحضارات .

(4) حسين سيد هلال ، رفع الالتباس عن الديموقراطية والليبرالية والخلافة الراشدة ، على المرصد الإسلامي لمقاومة التنصير ، على الرابط التالي :

http://www.tanseerel.com/main/articles.aspx?selected_article_no=29512

(5) حاكم المطيري (د) ، نحو وعي سياسي راشد ، على موقع فضيلته على الشبكة الدولية للمعلومات "الانترنت"

عصر أدبيات الاستبداد وما بعده

بقلم/أشرف محمد عبيد

لاشك أن عصر الاستبداد قد انتهى، وأن هذه الثورة المباركة قد أحرقته بلا عودة، ولكن ما زالت أدبيات الاستبداد وعقليات و نفسيات الاستبداد حاضرة لم تنه بعد، كما أن الكثير من الأحرار مازالوا متأثرين وإن كانوا يحاولون الفكاك من أسر الاستبداد وأفكاره

نعم انتهى عصر الاستبداد، ولكن مازالت مرحلة الحرية بكل ما تعنيه من المسئولية وطرح الأفكار المختلفة (لا النشاز) متأثرة بهذه الفترة الطويلة من الاستبداد، والتي في حقيقتها لم تكن مقصورة على الثلاثين سنة الأخيرة، ولكنها تمتد منذ حكم الرئيس الراحل جمال عبد الناصر مروراً بالسادات، وما أعنيه أن عصر الحرية لم يأخذ شكله النهائي بعد وإنما هو في طور التكوين والتشكيل والذي أرجو أن يتفاعل ويأخذ شكله النهائي قريباً وبمعنى آخر يجب أن ينتهي الخوف الذي كان دائماً ينتاب كل من يكتب وكل من يفكر وكل من يختلف مع السلطة الحاكمة بحق أركان النظام السابق منذ الخمسينيات وحتى سقوط الطاغية وخلعه في 11 فبراير 211 ما هو إلا امتداد لحقبة الاحتلال والتي ظلت جاثمة على أرض مصر و على صدور المصريين قرابة السبعين عاما وعندما أتى أسلاف الطاغية المخلوع ظن المصريون أنهم تحرروا فإذا بهم قد وقعوا في أشد مما كانوا يعانون منه، وهو ما يطرح السؤال عن ماهية الاحتلال؟ فإذا كانت الحقيقة تتمثل في الطغيان والاستبداد و تكميم الأفواه ومحاربة هوية أهل هذه البلاد واستنفاذ خيراتها مع أوجه اختلاف تجعل من الاستعمار الوطني موضوعاً مرشحاً للدراسة حيث نعتقد أنه أشد وأعقد من الاستعمار الأجنبي وأقسى كما هو الحال بين الحرب الدولية والحرب الأهلية هذا ما يجعل القول أن ثورة يناير بما اتسمت به حتى الآن من شعبيتها ومشاركة ملايين هذا الشعب ومن التزامها بمحاكمات عادلة مع أعداء هذا الشعب وعدم الأخذ بالمحاكم الاستثنائية ومن ثم عدم ظهور الطابع الانتقامي والثأري للثورة كل ذلك جعلها نموذجا يلهم العالم ويحظى بأعلى درجات الاحترام والتقدير، وذلك عكس ما فعلت ما تسمى بثورة الضباط الأحرار في 1952 والتي اتسمت بالقمع واللصوصية! نعم اللصوصية! فهؤلاء سرقوا مستقبل هذا الشعب سرقوه ولم يكن لهم أن يقوموا على شئون البلاد وحكمها وهم غير مؤهلين للحكم، فكلهم تحيط بهم الشبهات وكلهم ورطوا البلاد ووضعوها في مأزق على كل الأصعدة سواء اقتصادية أو اجتماعية أو سياسية أو عسكرية فهؤلاء بحق لم يكن أياً منهم يعمل إلا لصالح أعداء هذه الأمة وهذا الوطن ولم يكن لهم إلا هدف التمتع بالسلطة وبأموال هذا الشعب. هؤلاء الحكام كانوا يعيشون كأنهم فراعنة فهم ينظرون إلى أنفسهم كذلك بل وبعضهم كان يصرح بذلك ولا يستحون، كما أن هؤلاء كانوا ينظرون إلى شعوبهم أنهم عبيد وهم آلهتهم ومن ثم فقد جعلوا شعوبهم تعيش الخوف من كل شيء، فهم يعتبرون العمل من أجل مستقبل هذا الوطن و هو ما يطلق عليه الناس العمل بالسياسة سبة وعار وقلة أدب لما يعرفونه من عواقب هذا الأمر والذي هو خاصية للفرعون!!

الآن وقد بدأ عصر الحرية، الآن والفرعون الإله وأبناءه وزوجته قيد التحقيق وانتظار المحاكمة، والحزب الوطني الذي قاد العمل العصابي قد حكم القضاء بحله لما قام به من خدمات جليلة لإسرائيل والولايات المتحدة وغيراهما من تدمير لهذا البلد ولشعبه، مما يجعل الفعل الثوري يتقدم خطوات للأمام في اتجاه دك حصون الفساد وبما يعطي الأمل أننا على طريق

الحرية والاستقلال الذي حلمنا به كثيراً ولم نكن نتخيل أن نراه في واقعنا ونلمسه ونحياه ونصبح جزء منه، ولكن يبقى الأهم وهو أن ندك حصون الاستبداد في نفوسنا لابد أن نهزم نظرية السيد والعبد الكامنة في نفوسنا، لابد أن يحيا القائد والمدير والمسئول بجانب الضابط الصغير والموظف والعامل والفلاح بنظرية الأخوة والتي تجد أساسها المتين في دين الإسلام وشريعة المصطفى عليه الصلاة والسلام، هل هذا صعب أو مستحيل!!؟؟ لا أظن فالذي ثار على أكبر طغاة العرب واستطاع أن يخلعه ويقدمه للمحاكمة هو وعصابته يستطيع بهذه العزيمة وهذه الرؤية الناضجة للأحداث والمعرفة الجيدة للهدف المنشود أن يهزموا الاستبداد في نفوسهم، هكذا يمكن عودة الأمة مرة أخرى الأمة التي هزمت التتار و أنقذت العام من دمار كاد يقضي على الحضارة الإنسانية بأثرها، كل هذا يستوجب التخلص من الاستبداد في أدبياتنا في مختلف الاتجاهات، فالأدبيات السياسية على سبيل المثال كان الفاعل الأساسي الفاعل الخارجي سواء كانت إسرائيل أو الولايات المتحدة أو أي من القوى الغربية ليصبح الفاعل شعب هذا الوطن، وليس أدل على ذلك من الارتباك والضيق الذي أصاب العدو الصهيوني والولايات المتحدة والتي بدت تحاول أن تلحق بركب الحدث بعدما كانت تحرك الأحداث وتصدر الأوامر للعصابة السابقة فتطاع

لابد أن تصبح أدبياتنا معبرة عن قضايانا وليست خائفة على معاش أو وظيفة أو من اعتقال؛ نعم فمن قام بهذه الثورة واتسم بهذه القوة والعزيمة والصبر في المواجهة يستطيع أن يحقق الاستقلال الحقيقي لينهي مائة وثلاثون عاماً من الاحتلال

نعم لقد انتهى عصر الاستبداد وعصر الفرعون الإله وكهنته، ووداعاً عصر الاستبداد وأدواته ومرحباً بعصر الحرية والذي آمل أن يتشكل ويرسخ وتنتهي معه ملامح الاستبداد التي طالما ضيعت الأمة وداعاً صفحات الذلة والاستبداد وداعاً هذه الصفحة السوداء مرحباً بالحرية أكاد أتنسم رائحة انتصارات تعيد إلى الأمة كيانها ومكانتها داخلياً وخارجيا نعم هي مصر التاريخ والحضارة قد لاحت في الأفق مرحباً مصر صلاح الدين

الإسلاميون في ليبيا الجديدة

ياسر الزعاترة

هل كان المراقب في حاجة إلى كثير ذكاء، أو حتى كثير متابعة كي يدرك أن الثورة في ليبيا كانت إسلامية بامتياز؟ كلا من دون شك، فالصحفيون الأجانب نقلوا هذه الصورة للعالم أجمع، بينما لم يكن الأمر في حاجة لشهادتهم، فالكاميرات التي كانت تنقل المشهد الليبي على مدار الساعة، بما فيها كاميرات وسائل إعلامية لا يكن أصحابها أدنى ود للإسلاميين، كلها كانت تؤكد أننا إزاء شعب يفجر ثورة إسلامية بكل معنى الكلمة.

شعار الله أكبر، وشعارات الشهادة والاستشهاد كانت ترن في آذان الصم والبكم، فضلا عمّن يسمعون ويعقلون، ولا قيمة هنا للقول إن ذلك أمر طبيعي في مجتمع مسلم، لأن الدلالة هنا أكثر من واضحة، لا سيما أن أهم مجموعات الثوار لم تكن تخفي هويتها، سواء تحدرت من الجماعة الليبية المقاتلة التي صاغت مراجعات وضعتها قريبا من مربع الإخوان المسلمين الفكري، أم انتمت إلى مجموعات ذات صلة بالإخوان أنفسهم، مع العلم أن غياب الحياة السياسية في ليبيا لا يعني غياب الأفكار في أوساط الناس الذين كانوا يتأثرون بمحيطهم في ظل ثورة الإعلام.

عندما قال مصطفى عبدالجليل في احتفال إعلان التحرير "إن أي قانون مخالف للشريعة الإسلامية هو موقوف فورا"، وضرب ببراءة مثالا على ذلك القانون الذي يمنع تعدد الزوجات، فقد كان يعرف أي جمهور يخاطب، بل إنه يعرف أكثر من غيره من هم الذي حرروا ليبيا، ومن هم الذين دفعوا الدم والتضحيات.

من الضروري القول ابتداءً إن المجلس الوطني الانتقالي ومكتبه التنفيذي، لم يكن يعبر عن طبيعة الثورة ولا من يخوضون غمارها، كما أن دوره في القتال على الأرض كان أكثر من هامشي. صحيح أن لرموز المجلس دورهم في التجييش السياسي، إلا أن المقاتلين على الأرض كانوا من لون آخر لا ينتمي للمجموعة التي يمثلها الثلاثي الأكثر نفوذا في المجلس (محمود جبريل، علي الترهوني ومحمود شمام)، وهم معروفون برؤيتهم العلمانية التغريبية، بل إنهم لا يخفون كراهيتهم للإسلاميين، ويبقى مصطفى عبد الجليل، وهو رجل محترم ومتدين حظي بما يشبه الإجماع بسبب ذلك، لكن الآخرين كانوا الأكثر نفوذا طيلة الشهور الماضية.

لا قيمة هنا للقول إن الناتو هو الذي حرر ليبيا، لأنه لو لم تكن هناك ثورة، ولم تتحرر بنغازي على يد الثوار الإسلاميين، لما تدحرجت الأمور نحو حدوث التدخل المشار إليه، مع العلم أن حظرا جويا وضربات جوية من دون مقاتلين على الأرض لم يكن بوسعها حسم المعركة، فضلا عن حقيقة أنه لو لم يكن هناك قتال ومقاتلون لما كانت هناك حاجة للضربات الجوية التي جاءت بدورها بعد الحظر الجوي.

ثم إن الناتو كان طوال الوقت يمارس عملية ابتزاز للثوار وقيادة المجلس الوطني، ولو كان جادا في توجيه الضربات في ظل تقدم المقاتلين لما استغرق الأمر بضعة أسابيع، لكنه لم يفعل، فيما كان الثوار يبذلون الغالي والنفيس في تقدمهم نحو المدن واحدة تلو الأخرى، ونذكّر من جديد بأن الدول الغربية لم تكن سعيدة بالثورة الليبية، وكان الأفضل بالنسبة لها أن

يستمر العقيد الذي منحها صفقات وامتيازات فلكية، ربما باستثناء فرنسا التي شعرت أن حصتها من الكعكة كانت محدودة قياسا ببريطانيا وأمريكا وإيطاليا.

كل ذلك بات جزءًا من الماضي، وإن ألقى بظلاله على الأسئلة التالية بعد نهاية العقيد ونظامه. أما السؤال الذي يطرح نفسه بقوة اليوم فيتعلق بحضور الإسلاميين في المشهد الجديد، لا نعني بعد الانتخابات الموعودة، وإنما خلال المرحلة الانتقالية أيضا، لأن تهميشهم خلالها قد ينطوي على مخاطر تهميش مماثل في المرحلة التالية، ومن يكتب بيده خريطة طريق المستقبل لن يظلم نفسه بأي حال، فكيف إذا كانت له مواقفه الكارهة للإسلاميين.

كان من حق الإسلاميين أن يصرخوا بملء أفواههم بأن أية صيغة سياسية مقبلة لا تأخذ في الاعتبار طبيعة الثورة ومجتمعها ومن قدموا التضحيات خلالها لن تكون مقبولة بحال، ومن يعتقد أن بوسعه أن يقول لحملة السلاح "شكر الله سعيكم، سلموا أسلحتكم، وعودوا إلى بيوتكم وانتظروا ما سنفعل"، من يعتقد أن بوسعه أن يفعل ذلك واهم إلى حد كبير، لأن الليبيين لن يقبلوا قذافة من نوع جديد بأي حال.

الليبيون يريدون نظاما يعبر عن هويتهم، ويريدون نظاما حرا لا يرتهن للخارج، وليس للناتو أن يطالب بثمن التدخل لأن دوله هي من دعمت العقيد سابقا وسكتت عن انتهاكاته لحقوق الإنسان الليبي مقابل المال والصفقات والاستثمارات.

الليبيون يريدون علاقة متوازنة مع الغرب تحفظ استقلالهم وثرواتهم في آن، ولا تضعهم في مربع آخر غير مربع أمتهم التي تعاني من ظلم الغرب واحتلاله وغطرسته، فضلا عن دعمه للكيان الصهيوني.

هذا هو صوت الليبيين الشرفاء، ومن يعبر عنهم سيكون موضع ثقتهم في المرحلتين؛ الانتقالية وكذلك التي ستتمخض عنها الانتخابات الحرة، وليس الأخيرة وحدها، لا سيما أن الانتقالية ستشهد الكثير من الخطوات الحساسة التي تفرض على صناع الثورة أن لا يكونوا بعيدين عنها.

يبقى القول إن هناك تفاؤلا بأن يكون تعيين رئيس عبدالرحيم الكيب رئيسا للحكومة المؤقتة خلفا لمحمود جبريل محطة باتجاه توافق على المرحلة الجديدة لا يقصي أحدا، ويفسح المجال أمام الليبيين لاختيار من يمثلونهم بحرية.

دراسات إستراتيجية

كيف تفكر الصين وتخطط للمستقبل؟

بقلم: د. محمد نعمان جلال

التفكير فريضة إسلامية هكذا علمنا كبار الأجلاء من علماء الإسلام عبر العصور، ولكن عند التنفيذ الفعلي نجد الصورة مختلفة تماماً سواء بالنسبة للعلماء المسلمين المحدثين أو بالنسبة إلى النخب من النخب الفكرية والسياسية والأمل هو نقل الفكر إلى حيز التنفيذ. وعلى النقيض من ذلك نجد الموقف من حيث التفكير والتخطيط والتنفيذ في الصين الحضارة والسياسة والثقافة، الفرد والمجتمع، الحكومة والمواطن في إطار متناغم. هل هذه بلاغة لفظية إنشائية برعنا فيها نحن العرب، أم أنها تعبير عن واقع حقيقي معاش. وسأترك للقارئ الكريم أن يخلص إلى النتيجة التي يراها وإنما سوف أسرد عدداً من المحددات والأطر ثم بعض الأمثلة أو الوقائع الملموسة في الصين والدالة على ذلك:

أولاً: الأطر الموجهة للتفكير: إن ثمة أطراً عديدة تقود الفكر الصيني ونختار منها ثلاثة أطر هي: الأول: إن الصين تدرك قدرها ومكانتها الحقيقية. وإن هذه المكانة تنبع من الحضارة والتراث، كما تنبع من المساحة والسكان، كما تعتمد على القوة العسكرية والتكنولوجية وعلى التقدم الاقتصادي وعلى التماسك الاجتماعي. من هنا فإن الزائر للصين يجد نخبها الفكرية والسياسية تخاطبه وفقاً للقاسم المشترك معه. فهي تتحدث مع المصريين بلغة الحضارة العريقة، ومع العرب بلغة الثقافة، ومع أهل الخليج بلغة النفط والاستثمار والتجارة، ومع الولايات المتحدة وأوربا بلغة المصالح الاقتصادية والسوق الضخمة والتجارة والاستثمار، ومع الولايات المتحدة بلغة التوازن الدولي في شرق آسيا، ومع جميع العالم بلغة التواضع، فهي دولة نامية وفقيرة، رغم أنها حققت تقدماً في بعض القطاعات. إذن لغة الخطاب الصيني هي لغة فريدة من نوعها، إنها لغة تتسم بالتداخل والتفاعل والمواءمة المستمرة وفقاً للمخاطب بها ووفقاً لرد فعله ومن ثم تقوم بعملية تطوير مستمرة لتحصل على رد الفعل المناسب والمطلوب بما يحقق مصالحهما. الثاني: إن الصين تدرك أن قياداتها السياسية والفكرية ليست إلا قيادات زائلة بحكم كونها تنتمي إلى البشر، ولكن هناك ثلاثة أمور دائمة وهي الشعب، والوطن، والمؤسسات، والرباط المقدس بين هذه العناصر الثلاثة هو القوة بمعناها الشامل، وركيزة القوة هو مقوماتها الصناعية والتكنولوجية، ولهذا تركز الصين على هذا الجانب التكنولوجي تركيزاً كبيراً. الثالث: إن بناء

الصناعة وتعزيز الاقتصاد والنمو يؤديان إلى تطور المجتمع، ولكن المجتمع مكون من بشر ومن ثم يقتضي الأمر ثلاثة ضوابط أولها أن يحصل البشر كل يوم على مزيد من الخدمات والرفاهية وبذلك يشعر كل فرد بأنه مواطن في دولة، شريك في تقرير مصيره وبناء مستقبله، وثانيها قمع الفساد والانحراف. فالبشر منذ الخطيئة الأولى لآدم جبلوا على حب الشهوات من النساء والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة، كما جبلوا على حب الأسرة ورعايتها. من هنا فإن أحد الضوابط هي منع هؤلاء البشر من أن تطغى رغبتهم في جمع المال على منهج جمعه بالوسائل المشروعة، أو أن يطغى حبهم لأسرهم على حبهم للواجب والعمل والإنتاج. أما الضابط الثالث فهو الإحساس بالأمل في المستقبل. فالمواطن يتطلع إلى المشاركة في البناء السياسي وفي العملية الاقتصادية ليستطيع أن يعزز من مكانته ودوره. وهذا الضابط تهتم به الصين أيضاً أيما اهتمام فتدوير النخبة السياسية وعدم البقاء في المناصب لفترات طويلة هو الكفيل بتحقيق المشاركة في بناء المجتمع وفي اتخاذ القرار السياسي، وفي هذا الإطار تحتل قضية التنمية البشرية مكانة واضحة في بناء الصين الحديثة.

ثانياً: أمثلة للدلالة على التفكير: فإذا انتقلنا من الأطر ذات السمة العامة إلى الأمثلة المحددة التي تعكس هذه الأطر الفكرية فإننا نسوق بعض الأمثلة التي نختار منها ثلاثة: المثال الأول: الصين ومشكلة الطاقة: أدركت الصين منذ بضعة سنوات أن معدل النمو السريع لديها سيؤدي إلى مزيد من الاحتياج للطاقة وان الإمكانات المحلية ستعجز عن تحقيق ذلك ولهذا خططت في ثلاثة اتجاهات: أ- تعزيز استثماراتها في الخارج مع التركيز على قطاع الطاقة وبخاصة البحث والتنقيب عن البترول، ولهذا ذهبت إلى السودان والجابون في افريقيا، كما ذهبت إلى فنزويلا في أمريكا الجنوبية، وإلى السعودية وعمان واليمن في غرب آسيا، وإلى كازاخستان في آسيا الوسطى، وإلى اندونيسيا في جنوب شرق آسيا، واستراليا. هذا الاتجاه عكس فلسفة التنوع في السعي للحصول على الطاقة فإذا عجز مصدر ما من المصادر أمكن تعويضه بغيره من المصادر. هذا هو منهج التفكير العلمي والعقلاني والرشيد من خلال المنظور المستقبلي. ب- زيادة حجم تجارتها الخارجية وغزو الأسواق العالمية بالسلع الصينية المتنوعة الجودة حسب رغبات واحتياجات كل سوق. هذا الحجم من التجارة والصادرات هو الذي يساعدها في توفير الأموال لاستيراد النفط ويحول دون حدوث عجز مزمن ومتضخم في ميزان المدفوعات مما يؤثر سلباً على نموها الاقتصادي. جـ- حث الدول الأخرى وخاصة الدول النفطية على تمويل التنمية في الصين من خلال الاستثمارات المباشرة أو المشروعات المشتركة وخاصة في الصناعات النفطية بمنتجاتها المختلفة وبهذا تضمن ارتباطا مستمرا ومصلحة مشتركة ومنفعة متبادلة. والصين، مع تخطيطها هذا، لا تغتر بنفسها بل تسعى للتعرف على آراء الدول الأخرى والمفكرين الآخرين والتعرف على ما لديهم من أفكار ومقترحات. ولذلك شهدت الصين اجتماعاً وزارياً مع عدد من الدول الآسيوية في إطار ما سمي حوار التعاون الآسيوي ء والذي عقد في مدينة شنغداوا Qingdao في وسط الصين، كما عقد معهد شنغهاي للدراسات الدولية ندوة دولية بين المفكرين والمسئولين عن قطاع النفط في دول الخليج والصين في 24-25 يونيو 24 شارك فيها أكثر من 4 خبيراً من الصين وبحثوا في إطار من الحرية والنقاش الصريح مع أقرانهم من دول الخليج العربية قضية النفط ومجالات التعاون ومشكلة أمن الطاقة وأسعارها وأثر ذلك كله على الصين. كما انتهز معهد الصين للعلاقات الدولية المعاصرة فرصة وجود بعض الباحثين المتخصصين في الشئون الصينية والنفطية لكي يدعوهم لاجراء حوار آخر مع المتخصصين في المعهد حول الصين والطاقة للاستفادة من آرائهم وتصوراتهم ومقترحاتهم في تقاريره التي يرفعها لرئيس وزراء الصين. ولعله من المفيد أن نشير إلى ثلاث ملاحظات ترتبط بهذا الإطار: الملاحظة الأولى: إن كلاً من معهد شنغهاي

للدراسات الدولية ومعهد الصين للعلاقات الدولية المعاصرة يرفع تقاريره إلى القيادة الصينية ويساهم مساهمة فعالة في بلورة اتخاذ القرار السياسي على أسس علمية دقيقة. ورئيسة معهد شنغهاي للدراسات الدولية هي عضو نشط في المؤتمر الاستشاري للشعب الصيني وهي تضطلع بالتحاور مع العديد من الدول فيما يسمى بالمحور الثاني للدبلوماسية TRACK TWO أما معهد الصين للعلاقات الدولية المعاصرة فهو مرتبط مباشرة برئاسة الوزراء ويرفع تحليلاته لرئيس الوزراء. الملاحظة الثانية: الدور الذي تلعبه وزارة الخارجية في التنسيق والربط بين الأجهزة الرسمية وغير الرسمية. ولذا فإن نائب مدير عام إدارة غرب آسيا وشمال افريقيا حضر مؤتمر شنغداو على المستوى الوزاري، كما حضر مؤتمر شنغهاي الخاص بالطاقة على مستوى المفكرين والباحثين، كما اضطلع في نفس الوقت بأن اقترح اللقاء لبعض المفكرين مع معهد الصين للعلاقات الدولية المعاصرة. إذاً هناك دور تنسيقي واضح لوزارة الخارجية وهو دور فاعل ومهم وليس دوراً شكلياً أو هامشياً وليس دوراً احتكارياً بحجب المعلومات عن المؤسسات الأخرى العاملة في نفس المجال. الملاحظة الثالثة: إن صانع القرار الصيني لا يكتفي بالاستماع إلى آراء المسئولين من الوزراء وكبار الشخصيات فحسب وإنما يحرص أيضاً على الاستفادة من مراكز الأبحاث والتفكير التي تمارس دورها بحرية في النقاش وتنتقد بعض السياسات وتقدم الطروحات والبدائل المختلفة. ولقد شاء حظي أن أكون طرفاً في الاعداد لندوة شنغهاي الدولية للطاقة بل الاضطلاع بدور المنسق نيابة عن مركز البحرين للدراسات والبحوث مع معهد شنغهاي للدراسات الدولية في الرعاية المشتركة للمؤتمر. كما شاء حظي أيضاً أن أشارك في اللقاء مع معهد الصين للعلاقات الدولية المعاصرة مع زميلي د. عبدالله الصادق مساعد الأمين العام للدراسات الاقتصادية والاستراتيجية. ولذلك لمست عن قرب الدور الفاعل والمهم لهذين المركزين من مراكز البحث والتفكير المثال الثاني: الصين والبحث العلمي والتكنولوجي: وهنا أود أن أشير إلى الدعوة التي وجهتها الصين للعالم الكبير البروفسور أحمد زويل الحائز جائزة نوبل في العلوم عام 1999م لزيارتها. هذه الدعوة تمخض عنها ثلاثة أمور أولها ترجمة كتاب أحمد زويل للغة الصينية ونشره على نطاق واسع وهو كتاب متميز لعالم متميز يضع فيه حصيلة خبرته وعلمه. وعلمت أن الطبعة الصينية الأولى قد نفذت وأن المطابع تدور لإصدار الطبعة الثانية ويجري الترويج للكتاب على نطاق واسع. وثانيها أنه منح درجة الدكتوراه الفخرية من جامعة بكين ودرجة الأستاذية الشرفية في جامعة فودان بشنغهاي وجامعة ووهان وهي المدن الثلاث التي شملتها زيارته في هذه المرة للصين. وفي كل من هذه الجامعات تم حشد عدد كبير من العلماء والباحثين وطلاب الدراسات العليا المتخصصين في المجالات العلمية للاستماع لمحاضرة الدكتور أحمد زويل. لم يحتشد لذلك الوزراء وكبار المسئولين لحضور شرفي ومظهري وتفاخري، وإنما احتشد المثقفون والباحثون للاستفادة العلمية الحقيقية وحرصوا على توجيه الأسئلة البحثية لمعرفة كيفية تطوير عملهم. هذا المنهج الصيني في الاحتفاء بالشخصيات ذات الثقل العلمي العالمي يختلف عن المنهج في الدول العربية وفي مقدمتها مصر بالاحتفاء الشكلي والمظهري بعيداً على الفائدة العلمية الحقيقية. ولهذا تهاجر الطيور المفكرة من بلادنا، وتعطي ثمار فكرها وعلمها وخبرتها إلى الدول الأخرى ونتخلف نحن لعدم إدراكنا قيمة علمائنا ومفكرينا. الثالث: المواجهة الحازمة للفساد وعدم الخوف من ذلك أو التردد فيه وهي مواجهة ليست تجاه صغار الموظفين، وإنما في المقدمة تجاه كبار الشخصيات، ونشر ذلك في الصحف بلا خوف أو خجل، وحقاً قال السيد المسيح «من كان منكم بلا خطيئة فليرمها بحجر» ولذلك نشرت جريدة الصين اليومية China Daily بتاريخ 24/6/3م تقريرين مفصلين في ص3 الأول يتناول الحكم بإدانة السيد هوانج ينتيان Huang Yantian الرئيس السابق لمؤسسة GITIC وهي مؤسسة جواندونج الدولية للائتمان والاستثمار

والتي أعلن إفلاسها لسوء الإدارة والفساد. وحكم عليه بالسجن لمدة 14 عاماً لقيامه برفع أسعار الفائدة وحصوله على مكسب مقابل ذلك، وقيامه بالاستثمار في سوق العقارات في هونج كونج والصين بطريقة أدت إلى خسائر للمؤسسة بلغت 18.8 ملايين دولار وعندما أعلن إفلاس المؤسسة نتيجة عجزها عن سداد ودائع قدرت بحوالي 5 مليون دولار لم تبادر الدولة لحمايتها وإنما تركتها إعمالاً لمبدأ الثواب والعقاب ورفض حماية المخطئين أياً كان الموقف. وبالنسبة لهذه الواقعة يمكننا أن نشير إلى عدد من الملاحظات:

1 -إن رئيس المؤسسة أخفق في قراراته الخاصة باستثمار أموال المؤسسة سواء في العقارات أو برفع سعر الفائدة أو العجز عن سداد ودائع في أوانها فضلاً عن حصوله على بعض المكاسب الشخصية. ولهذا استحق الفصل وتقديمه للمحاكمة التي أصدرت حكمها بإدانته. 2- إن الحكومة المركزية لم تتوان عن إعلان إفلاس المؤسسة وهي من كبرى المؤسسات المالية في الصين ولم تخش من مثل هذا التصرف على هروب الاستثمار الأجنبي لأن الحزم والمصداقية والشفافية هي التي تجذب هذا النوع من الاستثمار وليس إخفاء الحقائق. 3- إن المتهم قدم للمحاكمة التي بحثت جميع أوجه نشاط المؤسسة وسلوكيات مسئوليها وثرواتهم وصادرت تلك الثروات وأدانت من يستحق الإدانة. وفي نفس الجريدة وفي نفس الصفحة نجد تقريراً آخر عن انحراف أمين عام الحزب الشيوعي في مقاطعة جويزو Guizhou السيد Liu Fangre ونظراً لأنه مسئول حزبي كبير، ولأنه ينبغي أن يكون نموذجاً في سلوكه فإن جريمته مضاعفة، وعقابه مضاعف أيضاً ولذلك حكم عليه بالإعدام لأنه حصل على رشوة قدرها 799 ألف دولار أمريكي وأخرى مقدارها 19.9 ألف دولار خلال توليه منصبه ما بين عام 1995 – 22. ونشر ذلك على الملأ وذلك لكي يعتبر الجميع، وهذا ليس المسئول الحزبي والسياسي الوحيد الذي يوقع عليه مثل هذا العقاب القاسي، ولكن هناك مسئولين حزبيين في مدينة بكين العاصمة وغيرها تعرضوا لعقوبات مماثلة. وهناك حالة ثالثة حيث تم إحالة 25 شخصاً للمحاكمة بتهمة اختلاس 3.1 مليارات دولار في إقليم هاينان Hainan وهي أكبر قضية اختلاس في الصين ومتورط فيها بعض كبار المسئولين في الإقليم الذين عقدوا صفقات وعقود وهمية تورطت فيها شركة داليان للسندات Dalian Securities التي تم حلها بعد ذلك. ونشرت القضية في أجهزة الاعلام الصينية Far Eastern Economic Review P. 26, June. 24 ,24 هذه بعض النماذج والأمثلة حول كيف تفكر الصين، وكيف تتصرف، وكيف تخطط لبناء المستقبل. ولقد قال بعض المفكرين العرب في الماضي قل لي من صديقك أقل لك من أنت، ومن الضروري أن نطور هذا المثل لنقول قل لي كيف تفكر أقل لك من تكون، أي أن منهج التفكير والسلوك هو الذي يساعدنا على قراءة الطالع السياسي للدولة من خلال المنهج العلمي وليس منهج العشوائية والاتكالية. فهل ندرك نحن العرب والمسلمون كيف يفكر العالم؟ وكيف يتغير؟ أم نظل ننظر للماضي ونكرر اجترار أمجاده الحقيقية والوهمية في حين أن العالم بأسره ينظر للمستقبل ويحقق المعجزات والمنجزات.

دراسات مترجمة

الإسلام يشكل أوروبا جديدة

بقلم : ايفان أوزنوس – المراسل الخارجي لصحيفة الـ تربيون

ترجمة : يوسـف فـضـل

يستهل المقال بتعليق مختصر من هيئة تحرير الصحيفة يقول بأن : من يتساءل حول إمكانية انتهاء الصراع الدائر حول روحانية الإسلام في أمريكا ينبغي عليه أن ينظر إلى واقع الحال في أوروبا. فالتقاليد والمعتقدات الإسلامية الموروثة تتكاتف هناك لتدفع الأوروبيين إلى أن يعيدوا تقييم ممارساتهم وقوانينهم بل وكذلك مبادئهم الجديرة بالتقدير مثل مبدأ فصل الكنيسة عن الدولة. ولايبدو هذا الأمر جليـاً واضحاً في أي مكان آخر مثلما يبدو في فرنسا التي تحتضن اليوم أكبر جالية إسلامية في طول القارة وعرضها.

ومن أجل تغطية الجزء الحادي عشر من هذه السلسلة الخاصة فقد تم إيفاد أحد مراسلي الـ تربيون إلى ضاحية باريس للوقوف عن كثب على حقيقة مستقبل هذه القضية التي تسعى أوروبا جاهدة للتعامل معها.

يصف المراسل مشاهداته في ضواحي باريس وكيف أنه شاهد الخنازير الصغيرة المذبوحة تتدلى في اتساق جميل في أحد الأسواق المفتوحة , وكيف يساوم أصحاب المحلات على أسعار الجبن والمحار في منظر لم يتغير كثيراً منذ أن تم مواراة آخر ملوك البوربون الثرى داخل الكنيسة القوطية القابعة على ناصية السوق. غير أنك لو دلفت قليلاً إلى خارج السوق في يوم من أيام الجمعة , وعلى مسافة لا تبعد أكثر من ربع ميل عن نهاية الشارع لوجدت هناك فرنسا أخرى من نوع مختلف : إنك ترى المئات من المسلمين مصطفين جنباً إلى جنب تتلاصق أكتافهم داخل خيمة غير مدفأة مصنوعة من الخوص وهم ينحنون في إجلال قدسي مهيب باتجاه مكة,وهو المكان الذي شهد مولد الإسلام وانطلاقته الأولى والتي لم يحظ بزيارتها ومشاهدتها إلا عدد قليل منهم .

الشيء العجيب هو أن الناس الذين يتعبدون في هذا المسجد المؤقت الذي يقع على أحدى جنبات باريس, هم رجال ونساء يرتدون أحدث الموضات والثياب التقليدية, وأغلبهم من العرب والأوروبيين والأفارقـة .

إنهم معتدلون, ومحافظون وأصوليون, وهم إما من الجيل الأول أو الثاني أو الثالث من المهاجرين . إنهم قانعون وغاضبون..إنهم يشكلون المستقبل الذي تسعى أوروبا جاهدة للتعامل معه.

الذي يحدث في أوروبا يمكن أن يشكل رؤية جزئية لما ينتظر الولايات المتحدة وسكانها من المسلمين الذين تتزايد أعدادهم بوتيرة عالية. فلأول مرة في التاريخ نرى المسلمين يشكلون أقليات كبيرة ومتنامية عبر العالم

الغربي العلماني _ ولا نشاهد مثل هذا الأمر في أي مكان آخر بخلاف أوروبا الغربية حيث نلاحظ أن أعدادهم فيها قد زادت أكثر من الضعف خلال العقدين الماضيين. ونرى أن تأثير ذلك قد بدأ ينتشر وينتقل من أمستردام إلى باريس وإلى مدريد حيث نرى المسلمين يكافحون بالكلمات والأصوات وبالعنف أحياناً لإيجاد مكان لهم داخل المجتمعات المختارة. وعلى الرغم من حداثة السن, والفقر وكونهم عاطلين عن العمل بصورة لاتتناسب مع الواقع إلا أنهم يفتشون عن قدر أكبر من الاعتراف وعن نوع الإسلام الذي يناسب حياتهم . ومثلما يدور النقاش حالياً في مصر وباكستان وإيران حول شكل الإسلام اليوم فإن أوروبا تأخذ في البروز بوصفها أرضاً للمعركة التي ستحدث غداً.

من المؤكد أنه سوف لن يمر منتصف القرن الحالي إلا ويكون واحد من بين كل خمسة أوروبيين قد أصبح مسلماً , وهذا التغيير لا يرتبط من حيث الشبه مع أية موجات أخرى من المهاجرين , فهو يفرض تحدياً جوهرياً أكبر , إنــه يرسم معالم حضارة يهودية– مسيحية– إسلامية معاصرة ويجب على الغرب أن يقرر الكيفية التي يمكن بها تشكيل قوانين ومثل تلك الحضارة, وكيف سيعمل الإسلام على تشكيل وصياغة تلك القوانين والمثل .

السؤال الذي يطرح نفسه في أوروبا والولايات المتحدة هو ليس أية حضارة من هاتين الحضارتين– الغربية أو الإسلامية– سوف تنتصر وإنما هو أي شكل من أشكال الإسلام الكثيرة سيسود وتكون له الغلبة في النهاية؟ وهل سيكون هذا الشكل متوافقاً مع قيم الغرب ومثله أم أنه سوف يرفضها كلها ؟

المحور الرئيس للنقاش يرتكز على فرنسا , وهي الحاضنة لأكبر جالية إسلامية في أوروبا

والتي يقدر تعدادها بخمسة ملايين مسلم . نشاهد هنا أن عملية تحديد وتأطير الإسلام الأوروبي تثير أسئلة ملموسة مثل :الحق في وضع غطاء الرأس(الحجاب), أو مجردة مثل: معنى المواطنة (**citizenship**)والعلمانية(**secularism**) والتطرف **extremism**)) .

ونرى في بعض الحالات أن المسلمين المحافظين يرفضون زيارة المسابح المختلطة, ويمتنعون عن دراسة النظرية الداروينية(التطور والإرتقاء) أو السماح بالكشف الطبي على المرأة من قبل الأطباء الذكور.

لقد قامت الحكومة الفرنسية خلال الستة شهور الماضية بإبعاد **84** شخصاً مستندة إلى شكوك بأنهم ينادون بالعنف وإثارة الرأي العام ضد إقرار منع ارتداء الحجاب وغيره من المظاهر الدينية في المدارس العامة. ولكن حتى المؤيدين لذلك الاتجاه الشديد في المعالجة يعترفون بأن الإجراءات المتخذة لا تعمل إلا على زيادة تشويه صورة أوروبا عن نفسها.

صورة أوروبا الجديدة

شوارع سانت دينيس الضيقة تنحدر من كاتدرائية قديمة تعود إلى القرن الثاني عشر وقد كانت في يوم من الأيام الاستراحة الأخيرة لأجيال متعاقبة من الملوك الفرنسيين, لكنها اليوم بتماثيلها الحجرية التي يغمرها الثلج تحملق ناظرة إلى مدينة و أمة قد بدأ يعتريها التغير والتحول. لقد بدأت هجرة المسلمين إلى أوروبا بشكل جدي في أعقاب الحرب العالمية الثانية عندما وصل العمال بالآلاف من شمال أفريقيا للمساهمة في إعادة إعمار القارة. وخلال نصف قرن من الزمان أصبح مالا يقل عن ثلث سكان سانت دينيس البالغ عددهم تسعون ألفاً من أصل عربي. وتشاهد حالياً في المدينة الكتابات العربية على واجهة محلات الجزارة والحوانيت التي تبيع اللحم الحلال (المذبوح على الطريقة الإسلامية) , وأصبح هناك عدد قليل من المطاعم التي تعود لفرنسيين تنتشر هنا

وهناك في حذر شديد بينما تضم بيوت المستوطنين المسلمين المهاجرين الجدد منهم , وتبقى بيوت المسلمين الكئيبة تودع القدامى منهم.

على طول البلاد وعرضها لايزال المسلمون الفرنسيون يعيشون في نفس المكان تقريباً الذي عاش فيه الوافدون الأوائل منذ نصف قرن مضى وذلك ضمن وحدات سكنية في ضواحي المدن تم إنشاؤها في الخمسينيات لإيواء العمال الأجانب. و "الضواحي" أصبحت اليوم هي الكلمة المستخدمة في الإشارة إلى التجمعات السكانية الفرنسية المسلمة وتمييزها عن غيرها من التجمعات . في السابق كانت هذه التجمعات موحدة وكان يقيم فيها البولنديون والإيطاليون, وكان العمال الفرنسيون يعيشون بين القادمين من شمال أفريقيا, ولكن مع مرور الوقت انتقل الأوروبيون إلى أماكن أخرى أما العرب فبقوا في أماكنهم القديمة حيث نجد أن هذا المنظر يتكرر في مختلف المناطق من ضواحي باريس.

التغييرات التي حصلت لم تكن أكثر دهشة واستغراباً من منظر المسلمة المحافظة وهي تلتحف عباءة سوداء فضفاضة من رأسها إلى أخمص قدميها وتبدو سوداء أكثر من الغربان.

ولادة الهويـــة

بعد مرور ثلاثمائة سنة على قيام شارل مارتيل ,ملك الفرنجة, بصد الجيوش المسلمة وطردها من مدينة الطُّور (TOUR) الاستراتيجية , نرى أن الإسلام أصبح اليوم يشكل الديانة الثانية في فرنسا حيث يوجد في فرنسا من المسلمين اليوم ما يعادل عشرة أضعاف عدد اليهود.

من ضواحي باريس ومنذ 25 سنة مضت قام الإمام الشيعي آية الله روح الله الخميني بالتخطيط لثورة أدت في النهاية إلى الإطاحة بشاه إيران ,كما أدت بدورها إلى تفجير ثورة إسلامية على مستوى العالم . وإن الآثار المترتبة على تلك الثورة لازالت تشاهد جلية وبالعين المجردة حيث بدأ أطفال وأحفاد المهاجرين المسلمين في أوروبا يميلون وبأعداد متزايدة إلى اعتناق الدين الإسلامي .وتشير الإحصائيات في كل من فرنسا وإنكلترا إلى أنه قد أصبح هناك قدر أكبر من الالتزام بأوقات الصلاة اليومية والمواظبة على الحضور إلى المساجد, والصيام خلال شهر رمضان عما كان عليه الحال قبل قرن من الزمان.

إن شخصاً واحداً من بين كل خمسة مسلمين في فرنسا يقول بأنه يمارس تعاليم العقيدة الإسلامية بفعالية وانتظام لكن الكثير ممن كانوا يعرّفون عن أنفسهم بأنهم من أصل تونسي أو عراقي أو تركي بدأوا اليوم يعبرون عن هويتهم الرئيسية بأنهم مسلمون.

وعلى العكس من المهاجرين الأوائل الذين كانوا يتطلعون إلى العودة إلى بلادهم وجيوبهم مملوءة بالنقود فإن القادمين المتأخرين هم ممن تأخروا في العودة بسبب وجود قلاقل في أوطانهم فبقوا في الغربة يبنون وينشئون عوائل هي أكبر من عائلات جيرانهم الأوروبيين .

إن تأثير هذا الأمر يتضخم ويتعاظم من خلال الانحدار والانحطاط الحاصل في المسيحية الأوروبية حتى أصبح عدد من يدعون أنفسهم بالكاثوليك , والتي تشكل أكبر مجموعة عرقية في القارة الأوروبية, ينخفض بمعدل الثلث خلال الـ25 سنة الماضية.

إن النتائج المترتبة على ذلك هائلة , فخلال ست سنوات من الآن سوف تكون ثلاث من

بين أكبر المدن في هولندا ذات أغلبية مسلمة, وإن ثلث إجمالي عدد المسلمين الألمان هم ممن لم يتجاوزوا سن الثامنة عشرة وهذا يمثل حوالي ضعف النسبة بين التعداد العام للسكان .

ومع وجود ذلك المعدل من النمو, وتوتر العلاقات بين الولايات المتحدة والعالم الإسلامي فإن علماء الإسلام الراديكاليين لم يواجهوا أي نقص في عدد الموالين لهم .

في عام 22 جرى استطلاع للرأي بين مسلمي بريطانيا فوجد أن نسبة 44٪ منهم يعتقدون بأن الهجمات التي تقوم بها القاعدة هي هجمات مبررة طالما أن "المسلمين يتعرضون للقتل على يد أمريكا وحلفائها باستخدام الأسلحة الأمريكية". وحسب التقديرات الألمانية فإن هناك 31, إسلامي على أرضها وذلك استناداً على قوائم الترشيح للاتحادات الألمانية المحافظة.

سنة بعد سنة نجد أن الإسلام الأوروبي يبتعد شيئاً فشيئاً عن التقاليد والموروثات الثقافية للمغرب والجزائر وأنه يتغير دائماً نتيجة لضغوط الحياة في أوروبا. وفي حين يرى البعض أن الحل هو في إيجاد إسلام يكون أكثر تحرراً وليبرالية ويكون قادراً على الجمع بين المفاهيم والأفكار الغربية حول الحقوق الفردية والتسامح فإن الآخرين يرون أن الرد هو في البحث عن تفسير يكون أكثر تشدداً بشأن العناصر الجوهرية للعقيدة .

لقد ظهرت الآثار الخطيرة لذلك الاتجاه الراديكالي في الحادي عشر من مارس حينما حصلت التفجيرات المتناسقة والمنتظمة لأربعة قطارات تتحرك بواسطة الكمبيوتر في مدريد العاصمة وقتل فيها 191 شخصاً وجرح أكثر من 18آخرين. ثم قام متهمون مغاربة وتونسيون فيما بعد بقتل أنفسهم أثناء المواجهة مع رجال الأمن.

حصلت مؤخراً قلاقل في هولندا في أعقاب جريمة القتل البشعة التي راح ضحيتها ثيوفان كوخ الذي أنتج فيلماً سينمائياً مثيراً للجدل حول استخدام العنف ضد المرأة داخل المجتمعات الإسلامية. وقد ألقى البوليس القبض على رجل مغربي في السادسة والعشرين من العمر يحمل الجنسية الهولندية ووجهت إليه التهمة بطعن فان كوخ ثم إطلاق النار عليه. وكما يزعم فإن المتهم كتب ملاحظة على جثة القتيل مستخدماً السكين.

ومنذ أيام جرى إشعال النار في مدرسة إسلامية ثم جاء العقاب على إثر ذلك . فلقد طالب سياسيون من جناح اليمين في بلجيكا وألمانيا بفرض قيود جديدة على طالبي الهجرة

لكن مع الوقت اتضحت حقيقة على قدر كبير من الشمولية يتخطى حدود القضية . فقد وجد أن الفعل الإجرامي لم يصدر عن مهاجر وصل البلاد حديثاً ويحمل أفكاراً متطرفة وإنما هو ناتج من نواتج الراديكالية التي تنمو وتترعرع في داخل الوطن. يقول البوليس بأن المشتبه به محمد بويري قد كتب ملاحظته على جثة القتيل باللغة الهولندية وليس بالعربية.

يقول جيليس كيبل , رئيس الدراسات الإسلامية في معهد الدراسات الإسلامية في باريس, والذي ألف عدة كتب حول الإسلام في أوروبا : " تعتبر هذه الشيزوفرانيا من أخطر الأشياء التي تواجهنا في أوروبا حالياً, فهي تعني مدريد وهي تعني محمد عطا " وذلك في إشارة إلى أحد خاطفي الطائرات يوم 11 سبتمبر, والذي عاش لبعض الوقت في ألمانيا.

رجلان ورؤيتان مختلفتان

إن معرفة أين يضع المسلمون المعتدلون ثقتهم في نهاية المطاف ربما كان هو العامل المقوّم ومفتاح الحل الذي لايمكن التنبؤ به- لتحديد نقطة الحسم في الصراع الدائر حول صياغة وتشكيل نمط الإسلام الغربي . ومن أجل فهم الخيارات المطروحة لابد لنا من زيارة الأشخاص الذين يمثلون الرؤيتين الإسلاميتين المتصارعتين في فرنسا.

دليل بوباكر , هو إمام المسجد الكبير الذي يقع في قلب مدينة باريس , وهو معروف منذ مدة طويلة بأنه صاحب خطاب معتدل في الدعوة الإسلامية في فرنسا . وفي المقابل هناك الحاج تهامي بريزي , رئيس اتحاد المنظمات الإسلامية في فرنسا وهو الاتحاد الإسلامي ذو القوة المتنامية في البلاد.

بوباكر البالغ من العمر 64 عاماً والذي تدرب ليكون طبيب أسنان , يدير المسجد الذي يعود تاريخه إلى حقبة العشرينات . إنه يميل إلى الاقتباس من (عمانويل كانت) ويعد مقرباً من الرسميين الفرنسيين ويحظى بحب السفراء الأجانب. إنه يضع برعماً من الورد الأحمر على بطاقته الإسمية التي تشير إلى عضويته في رابطة الشرف مع إدراكه بأنه يتجه إلى خسارة مركزه.

يقول بوبكر : " منذ تاريخ الحادي عشر من سبتمبر بدأ عالم الإسلام في الغرب يتغير بسرعة أكبر مما هو عليه في أماكن أخرى من العالم , وإن البلدان الغربية عقدت مع الأصوليين اتفاقية رجال (جنتلمان) وهذه الاتفاقية تقول أن بإمكانكم البقاء هنا طالما أنكم تلتزمون الهدوء , إلا أن الرجال لم يعودوا هادئين كما تعودوا أن يكونوا من قبل".

مامن شك بأن نفوذ بوبكر قد بدأ يضعف , ففي السنة الماضية جرى اختياره ليكون رئيساً للمجلس الفرنسي الرسمي للديانة الإسلامية , وهي هيئة جديدة أسستها الحكومة عام 23 لإعطاء المسلمين صوتاً رسمياً عند التعامل مع الدولة. وتماماً مثل الهيئات التي تمثل الكاثوليك واليهود فإن المجلس يتحدث باسم المسلمين فيما يتعلق بالمواضيع المختلفة مثل تشييد المساجد وتدريب رجال الدين والمشايخ.

لم تسر الأمور على النحو المخطط له , ففي الجولة الأولى من الانتخابات انهزم معسكر بوبكر المعتدل أمام المرشحين المحافظين الذين فازوا بـ7٪ من أصل إجمالي المقاعد البالغ 41 مقعداً. وتقرر أن تكون الجولة الثانية في شهر أبريل حيث يتوقع أن يخسر المعتدلون بدرجة أكبر لصالح من يعتقد بأنهم يميلون إلى التغيير الراديكالي للإسلام في فرنسا.

ويتابع بوبكر القول :" تبقى الحقائق كما هي . إن الديانات التي تنغلق على نفسها تنقلب لتصبح مذاهباً , ذلك هو الذي يحدث بالنسبة للإسلام هنا , وإنني شديد الأسف على ذلك ".

عبر المدينة, وبمحاذاة الخط السريع لضاحية باريس المسماة (لاكورنيف) يبدو خصوم بوبكر واثقين تماماً من أنفسهم . ويظهر بيريزي مرحباً بالزائرين في مقره المبني من الزجاج والحديد , وأمامه رزمة لامعة من المطبوعات ورسالة هادئة كتبت عليها عبارة : " التنسيق وعدم المواجهة".

يقول بيريزي وهو يحتسي كوباً من القهوة على طاولة الاجتماعات :" نحن لسنا متطرفين إننا نمارس معتقداتنا ونكن التقدير للحكومة . إننا نريد شيئاً واحداً من أوروبا وفرنسا وهو أن يكونوا مخلصين لقيمهم " .

إن اتحاد بيريزي يستقطب 3, شخصاً في مؤتمره السنوي , ويرتفع صوت الحشد مدوياً في تحدي السلطات السياسية . وفي اجتماع السنة الماضية اضطر وزير الداخلية إلى قطع خطابه حينما اقترح على النساء أن يقمن بخلع الحجاب عند التقاط صور الهوية الشخصية لهن.

ما الذي يريده بيريزي حقاً من المسلمين في فرنسا ؟ إنه يقوم هو وجماعته بموازنة مطالبهم في حرص شديد . إنهم يتظاهرون ضد الحظر المفروض على ارتداء الحجاب لكنهم في الوقت نفسه يحثون الفتيات على احترام القانون والنظام طالما أنه مطبق وساري المفعول.

الاتحاد الذي يقوده بيريزي هو جزء من مظلة أوسع تشمل أوروبا بأكملها , وهذه المظلة هي المعنية بإصدار القرارات التي تساعد المسلمين المحافظين على العمل في مجتمع غربي معاصر من خلال السماح بالقروض التي تترتب عليها فائدة (الربوية) والتي تعتبر محظورة في ظل الإسلام وكذلك السماح باستهلاك الجيلاتين أو الهلام الحاوي على دهن الخنزير.

دعونا نجرب بيريزي في المواضيع الأكثر حساسية – فهل هو يريد إقامة دولة إسلامية في فرنسا ؟ أم أنه يريد تطبيق قانون إسلامي وفرض عقوبات صارمة؟ هو يقول "لا.. ربما تكون هذه القوانين جائزة ومطبقة في السعودية أو في فلسطين غير أنها لا تنطبق هنا ".

بالنسبة إلى بعض النقاد يعتبر بيريزي " ازدواجي الطرح" فهو يقول شيئاً باللغة الفرنسية وشيئاً آخر باللغة العربية. أما بالنسبة للبعض الآخر فإنما هو وببساطة شديدة , استراتيجي بارع ومنظّر داهية يدرك خطورة القوة القادمة من المجتمعات المسلمة التي تكبر بسرعة هنا.

من جانبه يقول بيريزي بأن مهمته ورسالته تنحصر في نقل رسالة قصيرة مفادها " أن على فرنسا أن تحترم هذه المجموعة السكانية ".

عالــم موازي

تقول فاتن منصور, وهي فتاة في الثالثة والعشرين من العمر وتدرس القانون في جامعة السوربون وتشير ملامحها إلى أنها فرنسية الأصل خصوصاً وأنها ترتدي بنطال جينز وحذاء أحمر بكعب عال رفيع , وهي الأولى بين زميلاتها التي تقول صراحة أنها ليست فرنسية تماماً . " إنني امرأة وأنا عربية وقد جئت من الضواحي , ولديّ ثلاثة معوقات. وتتابع : "فرنسا ليست عرقية, لكنها مصابة بعقدة الخوف من الأجانب.

إنني أستطيع أن أدرس القانون طول الليل لكنني لا أعرف ما إذا كنت سأجد عملاً حينما أتخرج ..! هذا ليس لأنني لا أتمتع بالكفاءة ولكن لكوني عربية".

إن الشعور بالعزلة والاستثنائية في المعاملة يبرز على أنه يمثل القضية الرئيسة في الصراع الدائر حول اندماج الإسلام في أوروبا . وسواء تعلق الأمر بالأتراك في ألمانيا أو بالاندونيسيين في هولندا أو بالباكستانيين في بريطانيا فإن استطلاعات الرأي تشير إلى شعور المسلمين بأنهم يعيشون في عالم متوازي داخل أوروبا.

لايوجد هناك مسلمون في البرلمان الفرنسي, ولايوجد مدير عام او مسؤول تنفيذي رئيسي مسلم لأي من كبرى الشركات الفرنسية , ووسائل الإعلام التي تحمل الأخبار الوطنية هي دائماً بيضاء , والساسة المسلمون من المستويات الوسطى يرددون عبارات عن أن حياتهم العملية قد تحولت عن مسارها بفعل من هم أعلى منهم .

ذكرت الحكومة الفرنسية في تقييم رسمي ضمن تقرير أعدته وكالة التدقيق والمراجعة وصدر في 23 نوفمبر أنها تحمّل الجمهورية مسؤولية الخطأ الحاصل في عدم تمكنها– أي الجمهورية – من محاربة التمييز الحاصل في السكن وأماكن العمل والمدارس .

وفي نفس الأسبوع قدمت شركة AXA والتي تعد أكبر شركة ضمان في فرنسا تقريراً

خلصت فيه إلى القول بأن المهاجرين الشباب في فرنسا يعانون من نسبة بطالة تعتبر أعلى بـ2 إلى 5 أضعاف معدل البطالة السائد بين الشباب من الأصول الأوروبية.

هذا الإحباط يسوء مع مرور الوقت . يقول خالد بو شامة , ممثل جماعة بيريزي ضمن منطقة سانت دينيس : " إن أول جيل جاء إلى أوروبا من أجل العمل , والجيل الثاني وجد نفسه ضائعاً بين ثقافتين , أما الجيل الثالث فإنه يعتبر فرنسياً بالكامل ويريد أن يحصل على جميع حقوق المواطنة والجنسية ".

بالنسبة لذوي الأصول الأوروبية, تعتبر الهجرة المسلمة بمثابة عالم جديد قد وصل إلى نهايته: فالقارة التي دأبت طيلة قرون على تصدير الناس والحضارة والدين إلى العالم الثالث نجد اليوم أنها أخذت تتشكل على يد مستعمراتها الاستيطانية السابقة. أما بالنسبة للمؤسسة الفرنسية فإن التحدي هو في إدخال المسلمين ضمن المجتمع الأوروبي من دون إجراء أي تغيير أو تعديل في أسس الديموقراطية العلمانية التي تتبناها.

إن التحرك الذي قامت به الحكومة الفرنسية بإصدار قرار يحظر حمل وارتداء المظاهر الدينية في المدارس العامة والتي من ضمنها غطاء الرأس (الحجاب) الإسلامي والقلنصوة (اليرملك) اليهودي والصلبان الكبيرة , قد أثار من اللغط ما لم يثره أي قرار آخر .

فبالنسبة إلى معارضي القرار جاء القانون بمثابة رفض فظ وقاس على قبول هجرة المسلمين إلى فرنسا. أما بالنسبة للمؤيدين فإنهم يعتبرونه تحركاً حاسماً للتقليل من الحواجز التي تفصل بين الشباب في فرنسا.

يقول بلاندين كريجل , وهو أحد مستشاري الرئيس شيراك والمعني بمواضيع الإندماج :

" لقد أظهر القرار أنه لايمكن المضي أكثر من ذلك في هذا الأمر, وأنه لايمكن الذهاب إلى أبعد مما وصل إليه , فالموضوع لامس عصباً حساساً وهو العصب الذي يستقر في صميم طريقتنا في الحياة".

البروفيسور كيبل, وهو الذي عمل في اللجنة التي أوصت باتخاذ القرار يقول بأنه قد عارض الفكرة في الأصل إلا أنه سمع شهادة من بعض الأساتذة و الشابات اللاتي ذكرن كيف أن الأصوليين كانوا يستغلون قرارات البنات المتعلقة بارتداء الحجاب كوسيلة ضغط عليهن لإجبارهن على تبني نمط حياة يكون أكثر تزمتاً وتديناً . ويقول كيبل : " لو اتهمونا بأننا نخاف من الإسلام فدعونا نقبل هذه التهمة ولا نعطي لها بالاً.. لقد حان الوقت لإعطاء هؤلاء الصبية الفرصة للتفاعل بأفضل طريقة ممكنة وعدم تعريض مستقبلهن داخل المجتمع الفرنسي للخطر".

رد المسلمون الفرنسيون على القرار بالاحتجاجات الجماعية , وقام الإرهابيون في العراق بخطف صحفيتين فرنسيتين مطالبين بأن يتم إبطال القرار وسحبه رسمياً وإذا لم يتم ذلك فإنهم سوف يعدمون الرهينتين . وكان من ردود الفعل أن قام المسلمون الفرنسيون بشجب القرار .

أربعة شهور انقضت على بدء السنة الدراسية الأولى في ظل القانون الجديد وبقي هناك 45 طالبة في فرنسا كلها خارج المدرسة أو في مرحلة التوسط والأخذ والرد بشأن امتناعهن عن رفع الحجاب. و إزاء عدد الـ2 من البنات اللائي كان يعتقد بأنهن يرتدين الحجاب في المدارس السنة الماضية فإن المسؤولين الفرنسيين تغمرهم الفرحة لبلوغ هذه النتيجة .

يقول كريجل بأنه خلافاً لقانون الحجاب فإن الحكومة تسعى على خفض معدل التفرقة والتمييز بين المهاجرين المسلمين من خلال إتاحة المزيد من السبل لتعلم اللغة الفرنسية, ومحاربة التفرقة والتمييز في أماكن العمل, ونعتقد بأن الحكومة ماضية في الطريق الصحيح.

إنه لم يحصل إشعال نار في الضواحي , ولا يوجد حوادث شغب كما حصل في أحياء الأقلية السوداء في الولايات المتحدة خلال الستينات فلم لا يكون ذلك؟ هذا لأننا كنا نشمّر عن سواعدنا ونفعل شيئاً ما... لقد قلبنا الزاوية .

أما في سانت دينيس وضواحي باريس الأخرى فإن القرار لم يكن واضحاً تماماً . فجموع الشباب تقف هناك على نحو يشبه رمز الـ17٪ الذي يمثل نسبة البطالة التي تتعدى كثيراً حدود المعدل الوطني . أما الفصول الدراسية والمساكن العامة فإنها مكتظة بالعائلات المهاجرة التي تنمو وتتزايد بوتيرة متسارعة.

المساجد تشهد حركة دؤوبة لم تشهد مثلها من قبل , فمركز التوحيد الذي يؤمه الشباب من أتباع طارق رمضان والواقع قبالة المحال التجارية , ومسجد التبليغ الخاص بالناسكين الذين يتبعون النمط الإسلامي السعودي المحافظ , وحجرات الصلاة الكثيرة مفتوحة لكل الذين يمرون أو يتوقفون في المكان .

ذكر أحد المسؤولين في جهاز الأمن والاستخبارات الفرنسية المكلفين بمراقبة الجماعات الأصولية أنه يعتقد بأن " الجدل المتعلق بموضوع الحجاب والجهود المبذولة لتدريب الأئمة قد دفعت المسلمين الفرنسيين إلى نقطة محاسبة ومراجعة خجولة للنفس ,وعليهم الآن أن يقرروا ما إذا كانوا سيندمجون مع أوروبا أو أن يردوا بشكل جدي على الجهود الرسمية الرامية إلى تغيير وتعديل جاليتهم . إنهم الآن على مفترق الطرق وبإمكانهم إما أن يمضوا إلى جهة اليسار أو التوجه إلى اليمين".

للاطلاع على النص باللغة الانجليزية انقر على الرابط

http://www.geocities.com/half_word/htmls/article_74.html

طيب الخير لكم

الزاوية العلمية والطبية

إشراف دكتور أنس الصافي

الحموضة وارتجاع المريء

في بعض الأحيان يشعر المرء بالحموضة أو حرقان في منطقة الصدر بعد تناول الطعام أو بعض المشروبات أو بالليل

يرجع العلماء هذا الألم لسببين :

الأول : بعض أمراض القلب

الثاني : ارتجاع محتويات المعدة بسبب ضعف الصمام بين المعدة والمرئ

وهذا هو السبب الأغلب ويعود هذا لبعض الممارسات الصحية الخاطئة لدي الأفراد المصابين بهذه الأعراض علي مدار وقت طويل مثل تناول بعض الأطعمة التي تحتوي علي الشطة أو المسبكات أو التي تحتوي علي كميات من الدهون أو المشروبات التي تحتوي علي نسبة أحماض عالية بكميات كبيرة أو النوم بعد الأكل أو الاستلقاء علي الظهر أو التعود علي إتخام المعدة بالطعام لفترات طويلة

عند تناول الطعام تبدأ المعدة بإفراز الأحماض المعدية التي تهضم الطعام في المعدة مثل حمض الهيدروكلوريك وبعض الإنزيمات الأخري التي تساعد في عملية الهضم فإذا كان الصمام الذي بين المعدة والمرئ فيه ارتخاء واستلقي الإنسان علي ظهره رجعت محتويات المعدة إلي المرئ مرة أخري بما فيها من أحماض وهذه الأحماض تسبب حرقان في الصدر لأن المرئ غير مجهز لاستقبال مثل هذه الأحماض مثل المعدة .

تعالج الحموضة بنوعين من العلاج

الأول : هو تناول الأدوية المخصصة لعلاج مثل هذه الحالات وتعمل غالبية هذه الأدوية والفعالة منها علي تقليل إفراز أحماض المعدة حتي لا تصيب المريض بالآلام ولكن هذه الطريقة تؤثر علي هضم الطعام لأن أحماض المعدة هي أهم عامل في هضم الطعام فيفقد المريض جزءا كبيرا من القيمة الغذائية للطعام .

الثاني : تغيير العادات السلوكية الخاطئة لدي المريض ومنها

الابتعاد بقدر الإمكان عن الشطة والفلفل ، والمسبكات ، والأطعمة ذات المحتوي الدهني العالي ، والمشروبات الحمضية والغازية ، وعدم ملء المعدة بالطعام لفترات طويلة .

عدم تناول الطعام ثم النوم مباشرة بل يجب الفصل بينهما بما لا يقل عن ساعة

الابتعاد قدر الإمكان عن الاستلقاء أو النوم علي الظهر لأن هذا يرجع مجتوي المعدة إلي المرئ .

إبداعات أدبية

الخشبة العجيبة

كان فيمن كان قبلنا رجل, أراد أن يقترض من رجل آخر ألف دينار, لمدة شهر ليتجر فيها . فقال الرجل : ائتني بكفيل.

قال : كفى بالله كفيلاً. فرضي وقال صدقت ... كفى بالله كفيلاً ... ودفع إليه الألف دينار.

خرج الرجل بتجارته، فركب في البحر، وباع فربح أصنافاً كثيرة. لما حل الأجل صرَّ ألف دينار، و جاء ليركب في البحر ليوفي القرض،

فلم يجد سفينة .... انتظر أياماً فلم تأت سفينة!.

حزن لذلك كثيراً ... وجاء بخشبة فنقرها، وفرَّغ داخلها، ووضع فيه الألف دينار ومعها ورقة كتب عليها:

(اللهم إنك تعلم أني اقترضت من فلان ألف دينار لشهر وقد حل الأجل, و لم أجد سفينة....

وأنه كان قد طلب مني كفيلاً، فقلت :كفى بالله كفيلاً، فرضي بك كفيلاً، فأوصلها إليه بلطفك يارب) وسدَّ عليها

بالزفت ثم رماها في البحر.

تقاذفتها الأمواج حتى أوصلتها إلى بلد المقرض, وكان قد خرج إلى الساحل ينتظر مجيء الرجل لوفاء دينه، فرأى هذه الخشبة.

قال في نفسه: آخذها حطباً للبيت ننتفع به، فلما كسرها وجد فيها الألف دينار!

ثم إن الرجل المقترض وجد السفينة، فركبها و معه ألف دينار يظن أن الخشبة قد ضاعت,

فلما وصل قدَّم إلى صاحبه القرض، و اعتذر عن تأخيره بعدم تيسر سفينة تحمله حتى هذا اليوم.

قال المقرض : قد قضى الله عنك. وقص عليه قصة الخشبة التي أخذها حطباً لبيته ، فلما كسرها وجد الدنانير و معها

البطاقة.

هكذا من أخذ أموال الناس يريد أداءها، يسر الله له و أدَّاها عنه، و من أخذ يريد إتلافها، أتلفه الله عز وجل!.

مغامرات بقّورة

إبداع /شريف محمد جابر

(الحلقة الأولى: في المدينة)

بقّورة طفلة صغيرة لطيفة.

بقّورة لا تعرف لها أبا ولا أمّا، ومنذ أن تفتّحتْ عيناها للحياة وهي لا تعرف سوى عمّها "الحكيم" الذي ربّاها واعتنى بها حتى أصبحت طفلة صغيرة ذكية جميلة.

وعاشا سويّا في وئام وأمان في كوخ صغير يقعُ في طرف غابة كبيرة كثيرة الأشجار. وكان عمّها الحكيم رجلا عابدا زاهدا، يعملُ في قطع الأشجار وبيع الحطب في المدينة القريبة.

تستيقظُ بقّورة باكرا في موعد صلاة الفجر مع عمّها "الحكيم"، وتدعو بعد الصلاة بما علّمها من أدعيةٍ عن رسولنا الحبيب محمّد صلى الله عليه وسلم.

تدعو بقّورة وحدها خاشعة بعد كل صلاة فجر وتقول: "اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلامُ، ومِنكَ السَّلامُ، تباركْتَ يَاذا الجلالِ والإكرام".

ثم تردد: "أستغفرُ الله.. أستغفرُ الله.. أستغفرُ الله".

وتقول أيضا: "لا إِلَه إلاَّ اللَّه وَحْدَهُ لا شريكَ لهُ ، لهُ الملكُ ولهُ الحَمْدُ ، وهُوَ عَلى كُلِّ شيءٍ قَديرٌ. لا حوْلَ وَلا قُوَّةَ إلاَّ باللَّه، لا إله إلاَّ اللَّه، وَلا نَعْبُدُ إلاَّ إيَّاهُ، لهُ النعمةُ، ولَهُ الفضْلُ وَلَهُ الثَّنَاءُ الحَسنُ، لا إله إلاَّ اللَّه مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ولوْ كَرِه الكَافرُون".

وتقول أيضا: "سبحان الله" ثلاثة وثلاثين مرة، و"الحمد لله" ثلاثة وثلاثين مرة، و"الله أكبر" ثلاثة وثلاثين مرة، ثم تختمها بقولها: "لا إلهَ إلاَّ اللَّه وحْدَه لا شَريك لهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحمْد، وهُو على كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ". فهي تعلم أن من قالها "غُفرت خطاياهُ وإن كانت مثل زبد البحر"، كما قال حبيبنا الرسول محمد صلى الله عليه وسلّم.

وتدعو كذلك وتقول: "اللهمّ أعنّي على ذكرك، وشكرك، وحسن عبادتك".

تدعو بهذه الأدعية الشريفة بعد كلّ صلاة مكتوبة في كل يوم.

وتعلم بقّورة أنّ يومها لن يكون سعيدا دون أن تصلّي لربّها خاشعة وتدعوه وتذكره كثيرا..

لقد علّمها عمّها الحكيم طعم السعادة هذا حين كان هو القدوة الطيّبة لها في ذلك..

وبقّورة تحبّ عمّها الحكيم كثيرا كثيرا، وتتعلّم منه في كلّ ما تصادفه في هذه الحياة.

****

ذات يوم خرجتْ بقّورة مع عمّها الحكيم إلى المدينة كي يبيع الحطب الذي عمل على تقطيعه وجمعه من الغابة الكبيرة. وكانت تلك هي المرة الأولى التي تخرج فيها إلى هذه المدينة الكبيرة؛ فقد كانت قبل ذلك لا تزال صغيرة على سفر متعب مثل هذا، وكان عمّها الحكيم يبقيها عند جيرانهم الطيّبين. ولكن في هذه المرة قرّر عمّها الحكيم اصطحابها إلى المدينة حتى تتعرّف عليها، فهي لم تعتد أن ترى المدن الكبيرة في حياتها بل اعتادت على الحياة الريفية اليسيرة.

وعند مدخل المدينة لفتَ نظر بقّورة رجلٌ يجلس في زاوية المكان ويمدّ يده طالبا المعونة من المارين. ثمّ رأت عمّها الحكيم يدخل يده في جيبه ويعطي الرجل شيئا من المال، ورأتْهُ يُسرّه بكلمات لم تسمعها. ثمّ رأت ابتسامة رضا ترتسم على وجه الرجل، ورأتْهُ يقوم ويمشي متجهًا إلى قلب المدينة.

سألت بقّورة عمّها الحكيم: لماذا يطلب هذا الرجل المعونة من الناس يا عمّ؟

أجاب الحكيم: لأنّه فقيرٌ ويحتاج إلى المال كي يعتاش ويأكل وبيتَ ويلبس الثياب التي تقيه برد الشتاء وحرّ الصيف، وقد يحتاج إلى المال أيضا لإعانة أسرته على المعيشة الكريمة، فيطعم أولاده ويكسوهم ويعتني بهم، فكي نعيش حياة كريمة نحن بحاجة إلى المال يا بقّورة، ألا ترَيْنَ أنّني أقوم بقطع الأشجار وجمع الحطب وبيعه في سوق المدينة؟

قالت بقورة: نعم، فلماذا لا يقوم الرجل بالعمل حتى يرزق بالمال؟

قال الحكيم: سؤال جيّد يا بقّورة، أما لاحظتِ أنّني أخذته جانبا وتحدثتُ إليهِ بكلمات؟

قالت: نعم، فماذا قلتَ له يا عمّاه؟

قال: لقد رأيته رجلا سليم الجسم قويّ البنية، فقلتُ في نفسي: لماذا لا يعمل؟ فسألته عن سبب بطالته ولجوئه إلى طلب المعونة من الناس، فأجابني بأن المدينة مكتظّة، ولم يجد فيها عملا يقوم به. فأعطيته بعض المال حتى يشتري فأسا ويقوم بقطع الأشجار وجمع الحطب وبيعه في سوق المدينة، فسُرَّ الرجل كثيرا وشكرني، وذهب لشراء فأس ليعمل في تقطيع الأشجار وبيع الحطب. وقد قال رسولنا الحبيب محمّد صلى الله عليه وسلّم: "لأن يحتزم أحدكم حزمة من حطب، فيحملها على ظهره

فيبيعها، خير له من أن يسأل رجلا، يعطيه أو يمنعه". فرسونا الحبيب محمّد صلى الله عليه وسلّم يوجّه الناس إلى العمل يا بقّورة، والفرد المسلم يجب أن يكون نابضا بالعطاء لمجتمعه، لا عالةً عليه ما دام قادرا على العمل. واستخراج خيرات الأرض مطلوب في هذه الحياة، وتصوّري لو كان كل الناس في مجتمعنا مثل هذا الرجل، هل سيكون مجتمعا قويّا أم مجتمعا ضعيفا محتاجا؟ فمن صفات الضعف "الاحتياج"، ومن صفات القوة "الاستغناء".

قالت بقّورة: ما أروع ما فعلته يا عمّاه، فجزاكَ الله خير الجزاء، ولكن ألا ترى يا عمّاه أنّه الآن سوف يبيع الحطب قبلك في سوق المدينة ممّا يجعلك تعودُ في كل مرة دون أن تبيع كلّ ما قمتَ بجمعه من الحطب، لأن التجار قد يشترون حطبه قبل حطبك؟

قال الحكيم: كلاّ يا بقّورة، فنحن المسلمون نؤمن أن الرزق مكتوب عند الله، وأننا مطالبون بالسعي لطلب الرزق وعدم الركون دون بذل الجهد. فالله – سبحانه وتعالى – هو الذي يرزقنا، وهو – سبحانه – الذي يرعانا ويحفظنا من الفقر والجوع والمرض. وما دمت أسعى لطلب رزقي وأنا متوكّل على الله تعالى فلن أخشى نقصا في المال ولا فقرا، لأنّ الله سبحاته هو الرزاق ذو القوّة المتين. يقول تعالى: "إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ " (الذاريات: 58). ويقول الرسول الحبيب محمّد صلّى الله عليه وسلّم: "لو أنكم تتوكّلون على الله حقّ توكّله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا". فانظري إلى الطير يا بقّورة، ألا ترين أن العصافير الكثيرة تغدو أسرابا لتأكل من نفس الغذاء، ويرزقها الله كلّها ولا يترك فيها عصفورا لا يجد طعاما؟ فكذلك أمرنا نحن البشر لو توكّلنا على الله حقّ توكّله ثم قمنا بالجهد المطلوب لكسب المال. والحمد لله على كل حال.

تعلّمت بقّورة في هذا اليوم أن القوّة تكمن في حيويّة أفراد المجتمع، ونشاطهم لكسب الرزق، وأن الخمول يجلب الضعف للمجتمع. وتعلّمت أنّه لا ينبغي للإنسان الخوفُ على رزقه، ويجب أن يتوكّل على الله في جميع أحواله، وأن يطمئنّ إلى أنّ الله سبحانه وتعالى هو الذي يرزقه ويرعاه، وأن كلّ ما يردّده الناس كقولهم: "فلان قطعَ رزقي"! وأمثالها من عبارات الخوف من قطع الرزق لأسباب دنيوية هو ضعف في الإيمان، ولا حقيقة له في الواقع، فالله سبحانه وتعالى هو الرزاق ذو القوّة المتين.. وكما يرزق العصافيرَ الكثيرة يرزق البشرَ وكل كائن حيّ في هذا العالم!

انتهينا

شعر للأستاذ سيد قطب رحمه الله

(نشرت في مجلة الرسالة، السنة 13، العدد 616، أبريل 1945، ص 429*)

قد مضى الماضي جميعا ومضينا

انتهينا لم نعد نسأل أيّانَ وأينا

أو نَمُدُّ اليومَ للأحلامِ والأوهامِ عَيْنا
انطوى الحلم الذي لاحَ زمانا وانطوينا

ويدُ الدهرِ تمشّتْ تُسبلُ الستر علينا

****

اِضربي في زحمة الأرض على غير طريقي

فكرة ضلّتْ وحُلْمًا يتوارى عن مُفيقِ

ولُقًى يقذفهُ الموجُ إلى الشطّ السحيقِ

وهوىً يخسره الفنُّ ، على عَيْنِ الصّديقِ

وَسَنًى يطمسهُ الليلُ إلى غيرِ شُروقِ

****

وأنا المكدودُ فليُلْقِ إلى الأرضِ عصاهُ

آنَ للمجهدِ أن تسكن في الأرض خطاهُ

آنَ أن يصمتَ لا تهتف شوقا شفتاهُ

آنَ أن يُغمضَ لا توقظُهُ وهنًا رؤاهُ

جاوزَ الجهدُ قواهُ ، فتهاوتْ قَدَماهُ

****

طالَ هذا الحلمُ حتى صار في النّفسِ عيانا

ومضينا في طريق الوهمِ تنسابُ خطانا

!تهدمُ الأيّام ما نبني فتبنيه رؤانا

ونخوضُ الشوكَ يُدمينا فتَمْضي قَدَمانا

تَتْبَعُ الوهمَ الذي صاغَ من الشّوْكِ جِنانا

****

يا لهذا الحُلْمِ والأيامُ تمضي والليالي

عابثاتٌ بالأماني وهو يمضي لا يبالي

يَغْلِبُ الواقعَ في الأرضِ بتحليقِ الخيالِ

ويرى خَلْفَ الروابي والصحارى طيفَ آلِ

فَيَرودُ الأُفْقَ ظمآنًا مَشوقًا للظِّلالِ

****

قد مَضى والعُمر يمضي والأماني والزّمانْ

وانتَهَيْنا . وصَحا بعدَ الأوانِ الحالمانْ

عَجَبًا . قد كانَ حُلْمًا . لَيْتَ شعري كيفَ كانْ

العيانُ اليومَ كالحُلْمِ وحُلْمي كالعيانْ

!صَمَتَ الدّهرُ عياءً ومضى يخطو الزمانْ

لن تطيروا في سمائي

شعر مروان حديد رحمه الله

اقتلوني مزقوني .. أغرقوني في دمائي

لن تعيشوا فوق أرضي .. لن تطيروا في سمائي

أنتم رجس وفسق .. أنتم سر البلاء

أنتم كفر و غدر .. نهجكم حجب الضياء

سمكم ما زال يسري .. كأفاع في خفاء

حقدكم يبدو لعيني .. حقد رقطاء العراء

قتلكم فيه شفائي .. لن تعيشوا في صفاء

كنتم للشعب داءً .. يوم أمسى في عماء

حزبكم أضحى غثاءً .. أو قريبا من غثاء

حزبكم أمسى كريها .. ريحه كالخنفساء

جيشكم أضحى ذليلا .. لم يعد فيه فدائي

جيشكم راضٍ بظلم .. من غباء أو رياء

حكمكم دوما خؤونٌ .. باع أرضي و فضائي

بعتم الجولان سلما .. دون سفك للدماء

قبلها كنتم أسودا .. و سيوفا ذات داء

يوم حاربتم شعوبا .. دينها رمز العطاء

يوم هاجمتم بيوتا .. قد أقيمت للدعاء

و سمحتم ليهود .. بعد في تحويل ماء

يا سيوف الله هبوا .. من سبات لضياء

لقنوا الباغين درسا .. و اقذفوهم للفناء

أشبعوا الأتباع ضربا .. شردوهم في العراء

و ارفعوا رايات دين .. حكموا شرع السماء

شذرات وقطوف

إعداد/محمد المصري

جماعة أهل السنة

[جماعة أهل السنة هي « الجماعة العامة الواسعة ، وهي تضم الآن كل من لم ينحرفوا عن طريق » أهل السنة والجماعة « إلى مناهج أهل البدع الضالين ، تضم كل هؤلاء دونما شرط أن يجمعهم اسم واحد أو حزب واحد ؟ ! فنحن لا ندعو إلى جماعة جديدة أو اسم من الأسماء التي يتصارع عليها العاملون للإسلام وإنما هي دعوة إلى الانتماء لسلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين الذين اجتمعوا على الحق الصريح من كتاب الله وسنة رسوله –صلى الله عليه وسلم– . دعوة إلى الانتماء لجماعة « أهل السنة » الذين ميزهم دائماً اجتماعهم على الإتباع دون لم الابتداع فهم يمثلون الامتداد الطبيعي لما كان عليه النبي – صلى الله عليه وسلم – ، وراية « أهل السنة والجماعة « هي الراية التي ينضوي تحتها المخلصون أفراداً وجماعات ، الراغبون في العمل من أجل الإسلام مهما كانت انتماءاتهم .. ثم نوزع فيما بيننا الأدوار ، أدوار الأفراد وأدوار الجماعات لتقوم بمهمة التغيير المنشود] دكتور محمد محمد بدري حفظه الله

زوجة الداعية

[لا تحزن يا عصام.. إنك إن عجزت عن السير سرت بأقدامنا.. وإن عجزت عن الكتابة كتبت بأيدينا.. تابع طريقك الإسلامي المستقل المميز الذي شكلته وآمنت به، فنحن معك على الدوام، نأكل معك ـ وإن اضطررنا ـ الخبز اليابس، وننام معك تحت خيمة من الخيام"]ابنان طنطاوي رحمها الله إلى زوجها عصام العطار حينما أصيب بالشلل .

الأمم الفقيرة

[الأمم الفقيرة ليست هي الأمم التي لا تملك المال، لكنها الأمم التي يتلفت أطفالها يمنة ويسرة، فلا يجدون حولهم سوى رجال من الدرجة الثالثة أو الرابعة، فتتجه أبصارهم نحو رجالات الأمم الأخرى باحثة عن القدوة والمثل وعن حقل جديد للممارسة. وبذلك تنشأ الفتنة الثقافية !]دكتور عبد الكريم بكار(الأشياء الصغيرة)المناعة الفكرية

عرض رسالة جذور النهضة في العصر الحديث

عرض /محمد المصري .

المؤلف دكتور / محمد العبدة.

الرسالة هي من سلسلة دُرُوب النهضة والتي تصدرها دار الصفوة للطباعة والنشر بمصر .

-تحمل الرسالة التي سوف يتم عرضها رقم (8)من السلسة .

-الرسالة من ذات الحجم الصغير ولكنها تحوي مفاهيم تربوية ونهضوية ذات قيم عالية .

-احتوت الرسالة على العناوين التالية :-

1-تمهيد .

2-جذور النهضة .

3-تاريخ النهضة .

-أهم ما جاء في التمهيد :-

اعتبر الكاتب حفظه الله أن أي حديث عن النهضة أو أي تقدم عمراني لابد أن يكون محوره الإنسان فهو محور التغيير فيقول الكاتب في صفحة 5 [إن أي تقدم عمراني ،أو أي حديث عن النهضة لابد أن يبدأ بالإنسان فهو محور التغيير ،والجزء الأساسي فيه ،وأولى الخطوات في ذلك هي تحريره من أسر الشرك والأوهام والخرافات والأساطير التي تصده عن العلم النافع والتفكير السليم].

ويقول أيضاً [لابد من فك الأغلال التي تحيط بالإنسان وتمنعه من الوصول إلى الغاية التي خلق من أجلها ،يجب أن تتاح له الفرصة كي يعرف الحقائق ويعمل بها وهذه هي دعوة الأنبياء ،ودعوة ورثة الأنبياء من العلماء الربانيين الذين يلون أمور الناس ويصلحون شأنهم] .

–ويقول أيضاً [الدين هو المصدر وهو الطاقة التي تساعد على إنجاز التغيير المطلوب].

ويقول في صفحة 6معرّفاً الإصلاح [وهو أن يكون الناس عبيداً لله وليس لأي شيء آخر]

جذور النهضة :–

تحت هذا العنوان ذكر الكاتب حفظه الله تاريخ المسلمين الحديث في تجديد أمور الدين والعمل على إحياء ونهضة الأمة ولذلك فقد ذكر الكاتب حفظه الله عدّة نماذج لتجارب حدثت وآتت ثمارها في العالم الإسلامي وأهم ما يميزها هي سنيتها وسلفيتها وهذا ملمح هام قلّ من يتكلم فيه ممن يطرقون موضوع النهضة فذكر الكاتب دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في الجزيرة العربية فيقول عن محور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى [التوحيد الذي دعا إليه الشيخ هو أساس الإسلام وقاعدته المكينة ،وهو توحيد محرر للإنسان ،لأنه ذو مضمون نفسي اجتماعي عميق ،فالعقلية الإسلامية التي تستقي من النبع الأول لا تسلم بالصواب المطلق لأي إنسان ولا تعترف بالعصمة لأي فرد غير الأنبياء]

ثم تحدث الكاتب عن آثار دعوة الشيخ خارج حدود الجزيرة العربية فذكر تأثر السلطان محمد بن عبد الله سلطان مراكش ،وفي الهند ما قام به الداعية أحمد بن عرفان الشهيد .

وفي اليمن ذكر الكاتب الإمام محمد بن علي الشوكاني ،والذي دعا إلى ترك التقليد وهاجمه هجوماً عنيفاً كما هاجم الفساد الإداري المتفشي في عصره .

وذكر أيضاً الكاتب العلامة مرتضى الزبيدي وهو الذي أحيا طريقة المحدثين وبعث التراث اللغوي وعلوم العربية .

وفي العراق ذكر الآلوسيان ،وفي الشام ذكر الشيخ جمال الدين القاسمي والذي كان له دور كبير في تحرير الفكر من التقليد الأعمى والبدع والخرافات وقد حورب وأوذي بسبب منهجه الإصلاحي واتهم بأنه يأتي بمذهب جديد].

وفي المغرب ذكر الشيخ محمد بن العربي السملالي وهو داعية إصلاح ديني وأديب من أهل(أدوز)بسوس المغرب تصدى لدفع ما رأى أن الشرع لا يقره وحارب الطرق المنحرفة ،أولع بإتقان الصناعات اليدوية .

وفي ليبيا ظهر الشيخ محمد بن علي السنوسي وهو من أصل جزائري ورغم اتجاهه الصوفي إلا أنه اهتم بتربية الناس على عدم التقليد واهتم بأمور مهمة من الإصلاح الدنيوي لم يهتم بها غيره من معاصريه مثل الأهتمام بالزراعة والمهن والاستعداد للأعداء .

ثم علّق الكاتب حفظه الله تعالى عن هؤلاء الأعلام كلهم بأنه يجمعهم [الاتجاه للإصلاح الحقيقي مع اختلافهم أحياناً في طريقة العرض وقوة التوجه وملاحظة ما حولهم من تدفق الحضارة الغربية ولم يديروا النهضة على سبب واحد].

تاريخ النهضة :-

تحت هذا العنوان يذكر الكاتب حفظه الله تعالى الرد على من يذكر أن النهضة بدأت من رفاعة الطهطاوي وخير الدين التونسي ،فيقول [واقع الأمر أن الشيخ الطهطاوي وإن كان يريد النهضة إلا أن مشروعه كان مشروعاً تلفيقياً منهزماً أمام ثقافة الغرب وحضارته وهو يمثل الالتحاق بمشروع محمد علي باشا المنفذ لسياسته والتي كانت ترمي لتهميش الأزهر وتسخير كل الإمكانات لصالح عسكرة الدولة].

ويقول أيضاً [وكذلك الذين جاءوا من بعدهم من رجال الإصلاح كالشيخ محمد عبده فقد كانت أعمالهم (ردود أفعال) ...وقد أطلق البعض على هذا التيار اسم (الاعتذاريون)وذلك لما يقومون به من تأويل تعسفي لبعض النصوص].

ثم يذكر الكاتب حفظه الله جزئية هامة اختم بها عرضي لهذه الرسالة وهي العمل الذي يعتبر بداية لبنة قوية في بدايات النهضة فيقول[إن العمل الذي قام به احد المهاجرين من الأندلس في ترجمة كتاب علمي هو لبنة قوية في بدايات النهضة لو أنه أكمل ...فقد غادر أسبانيا عام 1598م -17هـ أحمد بن القاسم الحجري واستقر في المغرب وعمل مترجماً للسلطان أحمد والسلطان زيدان السعديان واتصل في تونس بأحد كبار العسكريين الأندلسيين الضابط في البحرية الأسبانية الرئيس إبراهيم بن غانم ،وكان من الخبراء في المدفعية وقام أحمد بن قاسم بترجمة كتاب أعدّه الرئيس ابن غانم باسم (العزة والرفعة والمنافع للمجاهدين في سبيل الله بالمدافع) وقد لعب هذا الكتاب دوراً كبيراً في تدعيم سلاح المدفعية في بلاد المغرب في مواجهة الأسطول الأسباني عندما بدأ يغير على السواحل الإسلامية].

وفي النهاية أنصح بقراءة هذه الرسالة الهامة في هذه القضية وتنبع أهميتها من وجهة نظري في صغر حجمها وسهولة اللغة التي تتحدث بها فضلاً عن معالجة قضية النهضة بمنظور سني واضح المعالم .

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات .

1-د. محمـــد بن سليمـــان العبـدة من مواليد سورية، تخرج من جامعة دمشق كلية الحقوق- حصل على الدكتوراه في التاريخ الإسلامي من جامعة جلاسكو- بريطانية، رئيس تحرير مجلة البيان- سابقاً

عمل في التدريس لفترة طويلة، متفرغ في الوقت الحاضر للدعوة والكتابة،يرى أن مشكلة المسلمين تتلخص في طريقة النهوض بالأمة، لذلك كان الاهتمام بالفكر والدعوة والتاريخ والاستفادة من دروسه.

مشكلة المسلمين تتلخص في طريقة النهوض بالأمة، لذلك كان الاهتمام بالفكر والدعوة والتاريخ والاستفادة من دروسه..

الصفحة الأخيرة

الإتمام الصامت

لقد كانت وصية السلف دائما : التمام التمام أرسلها ابو بكر رضي الله عنه من وراء الفيافي إلى خالد بن الوليد بعد انتصاره في العراق أن : (اتمم يتمم الله لك ولا يدخلنك عجب فتخسر وتخذل وإياك ان تدل بعمل فان الله له المن ... وهو ولي الجزاء...) تاريخ الطبري 385/3

يطلب منه إتمام مهمته بصمت دون ضجيج إعلامي وكاميرات و في غير وقوف عن السير حتى يكون كذلك البدر...

• ثم ورثها عن خالد بن الوليد الذي سمع العظة البليغة فاخذ بها الإمام احمد بن حنبل , فما وقف , حتى قال صاحبه المحدث إبراهيم الحربي :

(لقد صحبته عشرين سنة , صيفاً وشتاء , وحرا وبردا , وليلا ونهارا, فما لقيته في يوم الا وهو زائد عليه بالأمس .) مناقب احمد لابن الجوزي / 14

لم يعرف الوقوف ابدا فضلا عن التخلف ورجوع القهقرى، إنما هو المرتقى المتمم , وان شهدت سيرته بعض الوقوف القصير فإنما هو توقف المستدرك والماحي.

ولبثوا في التقدم الجريء إلى الأمام في كل المجالات والمضامير حتى ازدانت الأرض بهم , ودانت لهم , وحين دخلوا السباق لم يجدوا منازعا لهم في مضمار التنافس على البر والخيرات, وكل مصر ان يقترب كل ساعة من الكمال أدنى وأدنى، فيرتاد كل يوم منزل فضل وقربى، لم يعرف لأحد قبله , ويأتي في التنافس بجديد , لم يكن له ولا لغيره بالامس وحتى راح الشاعر يتساءل بغرابه ويبدي دهشته مخاطبا احدهم :

عجبا بأنك سالم من وحشة

في غابة ما زلت فيها مفردا

يتعجب كيف لم يرجف فؤاده، وهو المتوحد بلا انيس معه يشاركه حياته التي هو فيها ...